طلائع خراسان

العدد

15

شعبان 1430



دخل الوادي ولم يعد !!

لقاء مع الأخ أبي دجانة الخراساني



طلائع خراسان

مجلة دورية تعنى بشؤون الجهاد والمجاهدين في أفغانستان

العدد 15 شعبان 1430

من المحرر

القصاص ولو بعد حين

لقد هدأت الضجة التي ثارت بعد قتل المصرية مروة الشربيني –رحمها الله– بصمت أصحاب القبور الذي أحاط بالمسلمين بعدها، وظنت الحكومة الألمانية أن القضية قد طواها النسيان كسابقاتها من الجرائم التي ترتكب ضد الشعوب والأفراد من الأمة الإسلامية على أيدي الصليبيين واليهود وغيرهم وأنها بالاتصال الهاتفي المقتضب من المستشارة الألمانية لعميل القصر الجمهوري في مصر قد أدت الدِّية وأسكنت الغضب والقهر الكامنين في القلوب المكلومة!

ولكننا نبشر المستشارة الألمانية وحزبها ومَن شايَعَهم بأن العاقبة ستكون وخيمة، فالله سبحانه وتعالى قد تكفل بنصر المظلوم حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام فيقول الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لأنصرنَّك ولو بعد حين" وهو حديث صحيح.

فلينتظروا العذاب من عند الله أو بأيدينا، إن لم يسارعوا بإصلاح حالهم والكف عن تسليم أمورهم لحكومات تشارك في سفك دماء المسلمين في أفغانستان وألمانيا نفسها أو في أي مكان.
والله غالبٌ على أمره..

افتتاحية العدد

الألمان والفرصة السانحة

هل يستغل الألمان الفرصة الأخيرة وينأوا بأنفسهم عن الدمار والخراب ؟؟

عدة أسابيع تفصلنا عن موعد الانتخابات العامة في دولة ألمانيا، وهي فرصة مديدة للألمان لكي يختاروا الخيار الصحيح ويصمموا وينأوا بأنفسهم عن ورطات بوش وأوباما المتورطين المتوحّلين في أوحال حروب خاسرة مشؤومة!

آن للشعب الألماني أن يقول لحكومته: إنه لا ناقة لنا ولا جمل في هذه الحروب، وإننا لا نريد أن نشارك في عدوانٍ على أحدٍ كما نحب ألا يعتدي علينا أحد، وإننا لا نسمح بأن يورّطنا أحدٌ في مآسٍ ومصائب لا تكاد تنتهي لمجرد أنه صديق، وإن مصلحة الشعب الألماني هي الأولى.

آن للشعب الألماني أن يقول لميركل: كفى دجلاً وخداعاً في زعمك أن الجنود الألمان في أفغانستان يدافعون عن أمن ألمانيا..!!

وإذا كانت استطلاعات الرأي المتعددة تفيد أن أغلبية الشعب الألماني ترفض مشاركة جيشها في الحرب هناك وترفض التمديد لمهمتهم المزعومة فيها، فإن الفرصة قد جاءت للشعب لكي يفرض كلمته على ميركل وأنصارها، ويحدد موقفه الرافض للعدوان والطالب للسلامة.

إن لدى الشعب الألماني الفرصة الشهرَ القادم لكي يستفيد من سجلّه السّلميّ المعلن مع المسلمين وخلوّ ساحته من الثاراتِ الخاصة بينه وبينهم، بخلاف الشأن مع دولٍ أخرى غربية.

فهل يفعلها الشعب الألماني؟ ليتمكن من العيش في سلامٍ ويقي نفسه ويلاتِ حروبٍ وكروب وأحزان وهواجسَ ونكدٍ وخوفٍ ورعبٍ لا يعلم نهايته إلا الله.

وإن المجاهدين لطالما وضّحوا أن الشعوب لا يمكنها أن تختارَ وتنتخبَ وتساند حكوماتٍ معتديةً ظالمة ثم تأمل أن تكون في عافية وفي راحة من تحمّل تكلفة وتبعات ذلك الاختيار.!!

موسم ساخن على أعداء الله

اللهم بارك .. ما شاء الله لا قوة إلا بالله..

اللهم إنا عبيدُك أبناءُ عبيدك، نواصينا بيدك، نقر ونعترف أنه لا حول ولا قوة إلا بك، نرجو رحمتك ولطفك، ونحذر سخطك وغضبك.

اللهم إنه لا غنى لنا عن بركتك..

هذا هو لسانُ حالِ ومقالِ مجاهدي الإمارة الإسلامية في أفغانستان وهم يشاهدون هذه الأيام ما يجريه الله عز وجل على أيديهم من النكايات في أعداء الله من الصليبيين والمرتدين، وما أولاهم من شفاء الصدور، وأنالهم من الانتصارات والفتوح، وارتدّ "خنجر" الأمريكان إلى ظهورهم في هلمند وهم يولّون الدُّبُر، وتساقطتْ طائراتهم فيها وفي قندهار وغيرها أواخر شهر يوليو المنصرم، وأسِر لهم جنديّ في خوست، وارتفعتْ أعداد قتلاهم وجرحاهم وخسائرهم في المعدّات والأموال في موسم غير مسبوق صرّحت دوائر إحصاء العدوّ بأن العمليات فيه ارتفعت عن الموسم الماضي بنحو أربعينً في المائة، فالعدوّ بفضل الله في ورطة تزداد تعقيداً، وفي شدّة تضيق حلقاتُها عليه، لا فرّج الله عنه.

والانكليز الذين اكتشفوا فجأةً أنه لم تكن لديهم رؤية استراتيجية لحربهم في أفغانستان، أذلّهم الله وراح وزير خارجيتهم يستجدي المجاهدين أن يحاوروه، ويعلن مرة بعد مرة أنهم مستعدون للتحدث مع طالبان ومستعدون للقبول بنظام إسلاميّ محليّ وطنيّ في أفغانستان!! فبعد أن طال شقاؤهم وأعياهم أن يجدوا "معتدلين" من طالبان مرضيين عندهم صاروا يرضَوْن بطالبان كما هي بشرط أن تكون نظاماً إسلامياً محليّاً وطنياً، أي لا يتطلع إلى ما وراء حدوده التي رسمها العدوّ (الاستعمار)، ويتخلى عن شيء اسمه جهاد من أجل الدين ونصرة المسلمين.

ومن الطريف أن وسائل إعلام العدو عبرَ بعضِ أدواتِه كمؤسسة البي بي سي حاولوا التمويه قبل بضعة أسابيع في قضية مقتل حوالي عشرة جنود إنكليز في أفغانستان وعودة نعوشهم إلى بلدهم وأثناء إجراء طقوسهم الجنائزية لهم – حاولوا التمويه بأن نسبة "تعاطف" الانكليز (الشعب البريطاني) مع الجنود البريطانيين في أفغانستان قد تزايدتْ، في محاولة للتغطية على استطلاعات الرأي الكثيرة التي تثبت باستمرار ارتفاع نسبة المعارضين للحرب ولوجود الجنود هناك.

لاشك في أن العدوّ يتجلّد ويتصبّر، في تواز مع سياسة التكتّم الشديد على خسائره وانشقاقاته، إذ إن معلومات المجاهدين تفيدُ بتزايد الهمسات في دهاليز مكونات التحالف الصليبيّ بالانسحاب، وارتفاع هواجس قيادة الناتو والقوات الأمريكية من هذا الأمر، وقد طال عليهم أمدُ الحرب، واحدودبتْ ظهورهم من طول النظر إلى ساعاتهم وهم يحسبون الساعات والأيام والشهور!

الحكومة الأفغانية العميلة من جهتها ليستْ بأحسنَ حالاً من أوليائها وأسيادها الصليبيين، وهي و"إيّاهم" كما قال الشاعر "...يزيّنُ بعضهم بعضاً ليدفع مِعْوَرٌ عن معوَر" ؛ يتساكتون جميعا عن قضية المخدرات وعن "لوردات" الحرب تبعاً لها، ويتساكتون عن الفشل والفساد المالي العظيم والسرقات الكبرى... ولكن هذه الحكومة المرتدة عن دين الإسلام –رغم كل الفشل على جميع الأصعدة– تستمرّ في مسلسل الخداع والتمويه أيضاً مستفيدةً من حاجة الصليبيين إليها وأنهم مازالوا يفضّلون على الأغلب استمرار كرزاي في السلطة، فتتابع ادعاءاتها بأنها تتفاوض مع أطراف من طالبان وأنها عقدتْ اتفاقات هنا وهناك مع مجموعات منهم، في محاولة منها عبرَ أسلوب الإشاعات لعمل ما يمكن عملُهُ لإيجاد جوّ مناسب لإنجاح الانتخابات، لأنها تعرفُ أن سيرَ الانتخابات بشكل جيد وفي جوّ سلميّ وبدون منغّصات و"عمليات" سيكون مؤشرا مهمّاً على ما تريده من الإيحاء باستتباب الأمن، ولكن المشكلة أن المجاهدين يعرفون ذلك أيضاً.!!

من أقوال الشيخ أبي قتادة

فهذا العام الهجري المنصرم عام شهادة رضيها الله لأقوام اختصهم الله تعالى بكرامة إراقة دمائهم الطاهرة في سبيله، فيا فوزهم ويا هنيئاً لهم، ختم لهم بالرضوان بأن يموتوا تحت بارقة السيوف، هم خيرة الناس؛ فهم أهل الهجرة في سبيل الله، وهم أهل البلاء والجهاد والامتحان، هذا العام أثخن في أهل الإسلام القتل في كل البلاد وخاصة في أفغانستان وفلسطين، لكنه القتل الحبيب إلى الله تعالى، لأن فيه معنى قوله تعالى: {ويتخذ منكم شهداء}، ولا أريد أن استطرد في الحديث عن هؤلاء إذ فيهم إخوة أحبة حين أذكرهم لا أملك إلا دمعة تفر من عيني، لا أدري والله أهي دمعة فراقهم أم دمعة الإشفاق على نفسي حيث أرى الناس يركضون إلى رضوان الله تعالى وأنا حبيس ذنبي، مقيد بهواي لا أدري أين يصار بي في أودية هذه الدنيا المقفرة، وإلى ما يختم لي فيها، فيا رب العباد أطلقني من ذنوبي وبلغني منازلهم والحقني بهم من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.

موضوع العدد

دخل الوادي ولم يعد !!

كتبه الشيخ: حسام عبد الرؤوف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد،

فقد حظيت الحملة العسكرية الباكستانية في مقاطعات (دير) و(بونير) و(سوات) وغيرها من المقاطعات الباكستانية التي تقطنها قبائل غالبيتها بشتونية بالاهتمام العالمي والاستقطاب الإعلامي لكل من أراد الظهور والتفلسف وإظهار البراعة في التحليل والتأويل سواء من القادة العسكريين الباكستانيين السابقين أو الإعلاميين المرتزقة أو حتى من الساسة الذين أفلسوا ويريدون شغل شعوبهم عن المآزق والمصائب التي يعايشونها وأخفّها أنفلونزا الخنازير!.

والذي تابع تلك الأحداث منذ بدايتها يعجب من ذلك الحماس في التغطية الإعلامية له والزخم الحكومي المعطى للحرب هناك، ولكنه يزداد تعجباً من النفق المظلم الذي استقرت فيه حتى صارت مثل الجبل الشاهق الذي تمخض فأنجب لقيطاً قزماً يتبرأ منه كل أحد، وينفي انتسابه إليه.

فالحكومة الباكستانية تلعن المجتمع الدولي والدول رأس الكفر العالمي لأنها تخلت عنها ولم تفِ بوعودها بالدعم الكامل لها في مواجهة المحنة الإنسانية التي خلفتها تلك الحرب، وتركوها تئن تحت وطأة مليونين من المشردين من تلك المقاطعات، وبالتالي لم يحصل القادة السياسيون والعسكريون على ملايين الدولارات التي منّوا أنفسهم وسال لعابهم في انتظارها ثمناً لجريمتهم النكراء وخيانتهم للأمة الإسلامية جمعاء، فلم يجنوا من ورائها إلا المرارة، واللعنات التي تتنزل عليهم من الضحايا إلى قيام الساعة .

أما الولايات المتحدة التي نفخت في كيرها وأشعلتها فقد أدارت ظهرها للخونة في الإدارة الباكستانية وذهبت لتوقع اتفاقية شراكة اقتصادية وعسكرية مع عدوها اللدود دولة الهنود!! وذلك رغم دعوة وزيرة الخارجية الأمريكية بلادها والدول الأخرى الذين تعهدوا بأكثر من خمسة مليارات دولار لباكستان الوفاء بوعودهم وطالبت بـ ٤٩٧ مليون دولار إضافية لباكستان قائلة إن التقدم في أفغانستان يعتمد على التقدم في باكستان!

فما هي حقيقة ما يجري في (سوات) وأخواتها؟ ولماذا هذا التوقيت لبداية الحملة العسكرية هناك؟ ولماذا تغيرت أولويات الجيش الباكستاني من مواجهة الخطر القادم من جهة الهند وسحب القوات المرابطة على الحدود معها لمواجهة الخطر الداخلي من جهة الطالبان!

وهل يعود الجيش الباكستاني مكللاً بأقواس النصر والأوسمة والنياشين على صدور أبطاله المغاوير كما عاد الجيش الأمريكي من العراق، أم سيسجل أسماء أفراده في سجلات المفقودين الذين تمتلئ ساحات باكستان بأسمائهم؟ وهل من أمل في سرعة عودة المشردين لينعموا بالأمن والسلام اللذين منتهم الحكومة بهما بعد التخلص من المجاهدين وأحكام الشريعة وليستظلوا بدستور الدولة الكفري وحكومة الإقليم العلمانية الملحدة؟!

هل يعود الجيش الباكستاني مكللاً بأقواس النصر والأوسمة والنياشين على صدور أبطاله المغاوير كما عاد الجيش الأمريكي من العراق، أم سيسجل أسماء أفراده في سجلات المفقودين الذين تمتلئ ساحات باكستان بأسمائهم؟ وهل من أمل في سرعة عودة المشردين لينعموا بالأمن والسلام اللذين منتهم الحكومة بهما ؟؟

أسئلة كثيرة من بين أخرى أكثر سنحاول الإجابة عليها من واقع المعركة بعيداً عن قرع دفوف الحرب للجيش الباكستاني وترديد ادعاءاته الكاذبة الملفقة! وعن المبالغة المقيتة في قوة المجاهدين لأن واقعهم المشرف لا يحتاج تلك المبالغة!

بداية قصة التدخل العسكري في مناطق القبائل:

ونذكر القصة من بدايتها حيث سنَّ الجيش الباكستاني في زمن العميل المرتد (برويز مشرف) سنَّة سيئة في تعامله مع القبائل الباكستانية والمجاهدين منذ عام ٢٠٠٣ باتباع قاعدة سيدتهم بريطانيا (فرِّق تسد) عن طريق الإيقاع بين القبائل الباكستانية وقطع أواصر الأخوة الإسلامية بينها، والنفخ في النعرات الجاهلية التي جعلتها لقمة سائغة للجيش يضرب من يشاء ويهادن من يشاء، فكان يضرب في منطقة من المناطق القَبَلية ويهادن بقية المناطق، ثم يهادن التي قاتلها بعد أن يفسد فيها ويقتل الحرث والنسل، ليبدأ حربه في منطقة أخرى.. وهكذا! وقد ساعده على النجاح في تطبيق هذه الاستراتيجية ثلة ممن ينتسبون زوراً للعلم والعلماء، وكذلك بعض زعماء القبائل الموالية للحكومة ممن يسمون بـ (الملكان).

وقد استحر القتل في قادة المجاهدين والعلماء المناصرين لهم حتى في داخل باكستان وطلاب العلم الذين سقطوا نتيجة خيانة الخائنين، وتحاشي قادة المجاهدين في منطقة القبائل آنذاك الدخول في مواجهة شاملة وحرب معلنة مع الجيش الباكستاني الذي كان لا يزال فيه أثارة من النخوة والرجولة والانتماء القومي والإسلامي، وكذلك بسبب حقن التخدير التي كان يحقنهم بها بعض من يتظاهرون بحب الله والرسول والسعي لتطبيق الشريعة ولكن عن طريق الديمقراطية والسياسة، والذين كانوا يتدخلون لعقد اتفاقيات مصالحة أمنية بين الجيش والقبائل لا تلبث أن تنهار نتيجة تعنت الحكومة وعدم التزامها بالمطلوب منها.

فلما زاد الأمر عن حده ووصل إلى درجة لا تطاق خاصة بعد الهجوم البربري الحاقد على المسجد الأحمر كانت بداية التمرد على ذلك الحكم الكافر الذي لا يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة، في مقاطعة (سوات) التابعة للإقليم الشمالي الغربي بقيادة الملا (فضل الله) صهر الملا (صوفي محمد) والذي خلفه في إمارة تنظيم (تحريك نفاذ الشريعة المحمدية) في شهر أغسطس عام ٢٠٠٧.

ثم توحدت جهود العلماء المخلصين وقادة المجاهدين في مناطق القبائل وخاصة وزيرستان بشقيها الشمالي والجنوبي وأُنشئ (تحريك طالبان باكستان) في شهر ديسمبر من السنة نفسها تحت إمارة (أسد وزيرستان) بيت الله محسود، ومنذ اليوم الأول لإنشائها أعلنت التزامها بمبدأ الولاء والبراء كما تفرضه الشريعة الإسلامية على معتنقيها: الولاء لأولياء الله والمسلمين، والبراء من المرتدين والمنافقين والعلمانيين! ويشكل تطبيق الشريعة الإسلامية أبرز أهدافها. وبالتالي انتقل الصراع بين المجاهدين والحكومة الباكستانية إلى مرحلة جديدة وحرب نوعية من العمليات الاستشهادية الانتقامية، حيث كان هناك أكثر من ٥٧ هجوماً استشهادياً خلال أحد عشر شهراً من سنة ٢٠٠٨ كان من بينها ١٥ تفجيراً خلال ثلاثة أيام (١-٣ مارس) قتل خلالها عشرات عناصر الأمن والجيش وبعدها بعدة أيام (١١ مارس) كانت أبرز تلك العمليات والتي استهدفت المقار الرئيسة لوكالة الاستخبارات الفيدرالية في لاهور وحولتها إلى أطلال وقتل فيها وأصيب أكثر من مائتين من عناصر الاستخبارات!

التدريب على الحرب النظامية والغوص في حرب العصابات

ومن سوء طالع الجيش الباكستاني أنه وقع في قتال سكان القبائل الأبية الذين دحروا إمبراطوريات عظمى وهزموا جيوشاً تضاعفه عدداً وعدّة وتمويلاً وتدريباً على هذا النوع من الحروب. وهؤلاء القوم تمرسوا على حرب العصابات تساعدهم جبال شاهقة وطرق وعرة، وكهوف ومغارات تستعصي على أية ضربات جوية، ولا تناسب الجيش الباكستاني الذي ينتمي معظم قياداته وأفراده العاملين في الوحدات المنوطة بالقتال في القبائل إلى إقليمي البنجاب والسند أو من الشيعة، ومن ثم يجهلون اللغة وعادات القوم وجغرافية المنطقة والعدو من الصديق، فالكل يرتدي الملابس المدنية التقليدية ويحمل السلاح كعادة أهل القبائل!

كذلك كان تدريب الجيش على الحروب النظامية على أساس أن الحرب ستكون ضد القوات الهندية في حالة اعتدائها على باكستان، وليست حروب عصابات لمقاتلة مجاهدي القبائل الذين يدافعون عن دينهم وأرضهم وهذا سر قوتهم واستبسالهم في القتال واسترخاصهم للتضحيات.

ولقد كان لتلك الحملة الغاشمة تداعيات داخلية اتسمت في البداية بموافقة صريحة أو ضمنية من كل الأحزاب السياسية مثل حزب الرابطة الإسلامية بقيادة نواز شريف وحزب عوامي وبعض قيادات الأحزاب المسماة بـ (الإسلامية) مثل جمعية علماء باكستان بقيادة مولوي فضل الرحمن، ثم ما لبثت تلك الموافقة والمباركة مع اتساع رقعة المعركة وطول مدتها أن تحولت إلى الاتهام باستهداف البالوش والبشتون من قبل الجيش الذي يسيطر عليه كما ذكرنا البنجابيون والشيعة[1] وقد ورد ذلك على لسان

1- يذكر أن معظم أفراد القوات المسلحة الذين يقاتلون في مناطق القبائل هم من الشيعة الذين لا يميلون للسلام والمهادنة مع سكان القبائل كما يفعل أولئك الذين ينتسبون إلى أهل السنة. وتريد الحكومة من ذلك ضرب عصفورين بحجر واحد فهي تحاول القضاء على المقاتلين الإسلاميين والطالبان أو إضعافهم ودفعهم للرضوخ لأوامر الدولة وسيادتها. وفي نفس الوقت إضعاف الشيعة في باكستان لخشيتها أنه في حال انسحاب القوات الأمريكية -كما هو متوقع بإذن الله في القريب العاجل- من أفغانستان والمنطقة كلها فإنهم سيحاولون السيطرة على باكستان من خلال نفوذهم القوي في الجيش وكذلك المليشيات الشيعية التي يزداد نفوذها باستمرار، مع وجود الدعم الكامل لهم من إيران ومن القادة والسياسيين الشيعة في باكستان تماماً كما حدث في العراق!

قاضي حسين أحمد الأمير السابق للجماعة الإسلامية الباكستانية، وغيره ممن يسمون بـ .(العلماء) في اجتماع حاشد لهم وهذا هو الواقع الذي يهدد بإشعال نار حرب طائفية ظهرت بوادرها فيما تردد من قيام أحد أفراد المليشيا الحكومية التي يغلب على أفرادها العرق البشتوني بقتل أحد أفراد الجيش من البنجاب لتحرشه بامرأة بشتونية في منطقة جنوب وزيرستان وما تلا ذلك من قتل متبادل بين الطرفين، فإن صحت هذه الرواية فهي نذير شؤم بالنسبة للجيش الباكستاني والشعب كله. وأما القصة المؤكدة فهي أن أحد قادة الفرق العسكرية من البشتون صدر إليه الأمر بالتحرك بفرقته لقتال الطالبان فرفض ذلك، ثم وجد بعد ذلك مقتولاً وادّعى الجيش أنه انتحر!

التداعيات السابقة واللاحقة للحملة

يحذر القادة العسكريون السابقون وبعض السياسيين الحاليين من التغير الديمغرافي في إقليم السند الذي يشهد تزايداً في أعداد المهاجرين الفارين من مناطق القتال في القبائل البشتونية خاصة عاصمته المالية والتجارية والميناء الرئيس (مدينة كراتشي)، وهو الأمر الذي يهدد بإشعال نار حرب طائفية بين البشتون المهاجرين للإقليم من جهة والسكان القدامى في الإقليم من أنصار (حركة مهاجر قومي) والشيعة وأنصار حزب الشعب من جهة أخرى! وما يستتبعه ذلك من انتشار للاستشهاديين الموالين لحركة طالبان باكستان وكذلك الاستقطاب المتزايد لطلاب المدارس الدينية المنتشرة في جميع أنحاء البلد.

من ذلك تدمير المباني الحكومية والمدارس العامة سواء للبنين أم للبنات والادعاء أن الطالبان هم الذين دمروها، ومنه: (قول (روبرت وود) المتحدث باسم الإدارة الأمريكية إنه لم يفاجأ من التقارير التي ذكرت أن الطالبان قد فرضوا الجزية على الأقليات الدينية في المناطق التي يسيطرون عليها! ووصفه للطالبان بأنهم (قتلة قساة سوف يفعلون أي شيء يستطيعونه لإقصاء الديمقراطيات الهشة في باكستان وأفغانستان)

كل ذلك يسير وسط حملة دعائية هوجاء للإساءة للمجاهدين لعل ذلك يساعد الحكومة في تخفيض درجة التعاطف والولاء مع طالبان باكستان من ذلك تدمير المباني الحكومية والمدارس العامة سواء للبنين أم للبنات والادعاء أن الطالبان هم الذين دمروها، ومنه: (قول (روبرت وود) المتحدث باسم الإدارة الأمريكية إنه لم يفاجأ من التقارير التي ذكرت أن الطالبان قد فرضوا الجزية على الأقليات الدينية في المناطق التي يسيطرون عليها! ووصفه للطالبان بأنهم (قتلة قساة سوف يفعلون أي شيء يستطيعونه لإقصاء الديمقراطيات الهشة في باكستان وأفغانستان))[2].

لماذا الحل العسكري والجراح لم تندمل؟!

ولعل المرء يتساءل ما هو السر في سرعة لجوء الحكومة للحل العسكري وهي التي جربته في تلك المناطق سابقاً مراراً ولم تخرج منه إلا بالفشل واضطرارها تحت وطأة خسائرها العسكرية البشرية والمادية الفادحة، لتوقيع اتفاقية أمنية مع المجاهدين رغم الاعتراض الشديد من الولايات المتحدة في

Dawn 2-5-2009 -2

كل مرة، وقد بلغت الخسائر البشرية في صفوف الجيش الباكستاني منذ الحادي عشر من سبتمبر وحتى أحداث المسجد الأحمر مئات العسكريين كان من بينهم ضابط برتبة فريق وضابطان برتبة لواء وضابطان برتبة مقدم، وعدد آخر من الرتب الأقل، وأكثر من ألف جندي؟! وفي هذا يقول الجنرال المتقاعد عبد القيوم (الخبير في الشئون الأمنية والعسكرية في باكستان): (إن استخدام الجيش يجب أن يكون الخيار الأخير خاصة استخدامه في غير مناطقك، فالتحديات هائلة أمام الجيش الباكستاني).

والإجابة أن الذي دفعهم لذلك هو الإدارة الأمريكية حيث تعددت تصريحات القادة السياسيين والعسكريين الأمريكيين بأن المعركة ضد الطالبان هي معركة وجود ومصير بالنسبة لدولة باكستان وفي ذلك يقول وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس: (إن على القادة الباكستانيين التحرك لإيقاف طالبان الذين يشكلون تهديداً لاستقرار البلد) وشدّد على أن القيادة تحتاج إلى اتخاذ فعل عملي، ولم ينس تحريضهم على التحرك بقوله: (إن الاستقرار وبقاء الحكومة الديمقراطية في باكستان مركزي للشراكة المستقبلية مع الحكومة في إسلام آباد). وكانت إدارة بوش والإدارة الحالية قد دأبتا على اتهام إسلام آباد بغض الطرف عن أنشطة الطالبان والقاعدة وأن عناصر الاستخبارات العسكرية الباكستانية تتولى حماية قادتهما في منطقة القبائل الحدودية.

ويأتي في السياق نفسه متابعتهم لتطور الأحداث فيها دقيقة بدقيقة، والزيارات المكوكية للمسئولين السياسيين والعسكريين الأمريكيين لباكستان، وإظهار الاستحسان والتشجيع لأداء القوات الباكستانية، حيث أعرب (وزير الدفاع روبرت جيتس مع بداية حرب (سوات) عن (ارتياحه الشديد) للرد العسكري الباكستاني على هجمات حركة الطالبان، ثم أعلنت الحكومتان الأمريكية والبريطانية تقديم مساعدات مادية للحكومة الباكستانية حيث (وافق الكونجرس بمجلسيه على تقديم مساعدة مالية لباكستان تقدر بـ ١,٩. مليار دولار خلال العام المالي القادم ٢٠٠٩-٢٠١٠ بزيادة الـ ٤٩٧. مليون دولار التي أوصت وزيرة الخارجية الأمريكية بزيادتها وفوقها ١٠٠ مليون أخرى سخاءً من الحكومة المفلسة!)[3]، بينما أعلنت بريطانيا تقديم ١٨ مليون دولار للنازحين من (سوات) وأخواتها[4] بخلاف البرنامج الإنمائي البريطاني في باكستان، والذي يتضمن تقديم حوالي مليار دولار على مدى أربع سنوات منها حوالي ٣٠٠ مليون دولار للتعليم يخصص منها ١٨٠ مليوناً لإنفاقها في المنطقة الحدودية لمنع انتشار الفكر التطرفي –كما يدّعون– بين أطفال وشباب المناطق القبلية!

الدور العسكري الأمريكي في إذكاء نار الحرب

أما على المستوى العسكري فقد حذر الجنرال دافيد بتريوس القائد العام للقوات الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط وباكستان وأفغانستان: (من أن الأسابيع القليلة القادمة ستكون بالغة الأهمية لمستقبل باكستان، وأشار إلى أن الهجوم المكثف ضد الطالبان في (سوات) علامة على أن القادة السياسيين

3- Dawn 9-5-2009

4- سيتم نهبها كالمعتاد من قبل أفراد الحكومة ولن يستفيد النازحون منها شيئاً كما حدث مع ضحايا الزلزال المدمر الذي ضرب منطقة كشمير الباكستانية وشمال باكستان قبل أكثر من ثلاث سنوات وإلى الآن لازالوا يعيشون في المخيمات والكثير منهم في العراء!

والشعب والجيش متحدون ضد المقاتلين)[5] وقال إن لم تتم هزيمة المسلحين خلال الأسبوعين القادمين فإن الحكومة الباكستانية ربما تنهار! وكان (روبرت وود) قد قال في مؤتمر صحفي (إن باكستان بذلت جهداً قدره ١١٠٪ في المعركة ووضح أنها سوف تستمر إلى النهاية، ونحن سوف نستمر في مساعدتهم إذا تحركوا في هذا الاتجاه) ولكنه نفى أن تكون الولايات المتحدة قد أعطت باكستان مهلة قدرها خمسة عشر يوماً للقضاء على المسلحين الإسلاميين كما قال الجنرال (بتريوس))[6]

كما أفرجت الولايات المتحدة عن صفقة المقاتلات الأمريكية من طراز إف١٦ التي دُفعَ ثمنها قبل أكثر من عقدين من الزمان وذلك حتى تستخدم تلك المقاتلات وغيرها من الأسلحة الثقيلة والآليات في قصف مواقع المجاهدين والأهداف التي يشتبه أنها تنتمي لهم في شتى أنحاء الإقليم الشمالي الغربي (سرحد) تماماً كما فعلت مع دولة اليهود في مجزرتها الأخيرة في غزة حيث أرسلت لها الأسلحة والقذائف واستخدمت لذلك السفن الأجنبية المدنية لتصل في الوقت المناسب إليها دون أن يكتشف أمرها ولكن الله فضحهم! ولقد أجاد الجيش الباكستاني الاستفادة من تلك المقاتلات أيما استفادة حيث دمر في (سوات) عشرات وربما مئات الشاحنات والعربات المدنية بدعوى الاشتباه في أنها مفخخة، وعشرات المساجد ومئات البيوت بدعوى أنها ملاذات للمجاهدين ومراكز تدريب لهم!

وللعلم فإن الجيش الباكستاني أثناء دخوله الغاشم للمناطق التي دخلها من مدينة (سوات) وأخواتها كان يصطحب معه شاحنات فارغة وعربات نقل عملاقة لشحن أثاث المنازل والأجهزة الكهربائية وكل ما له قيمة، والأبواب والنوافذ الحديدية والخشبية والأخشاب المستخدمة في تسقيف البيوت التي هجرها أهلها مجبورين تحت وابل نيران الطائرات والمدفعية الباكستانية، وفوق هذا وذاك كان يقتل المدنيين بالعشرات يومياً ويدعي أنهم من المجاهدين، أو أن المجاهدين كانوا يستخدمونهم كدروع بشرية ولذا فإنهم يتحملون جريرة قتلهم! كما حدث في هجوم الجيش على مقاطعة (بونير) حيث (ادعت الاستخبارات الباكستانية أن الطالبان يستخدمون ٢٠٠٠ من المواطنين كدروع بشرية لمواجهة الحملة العسكرية للتطهير الوشيك لمنطقة (پير پاپا))[7].

دجل الجيش وحقيقة الموقف

وكان الكذاب الأشر الجنرال النجس المسمى (أطهرعباس) المتحدث باسم الجيش الباكستاني قد ادَّعى أن القوات الباكستانية قتلت في اليوم الأول من الهجوم على (سوات) ١٤٠ من الطالبان، وفي اليوم الثاني ١٦٠، وفي اليوم الثالث كذا وكذا ...، بينما لم تزد خسائر الجيش عن سبعة جنود في اليوم الواحد على أسوأ الأحوال! بل إنه أعلن يوم ٢٣ يونيه الماضي أن الهجوم على (سوات) في مراحله النهائية وأن الاستعداد أصبح تاماً للهجوم على جنوب وزيرستان! وها قد مر شهران ولم ينته الهجوم في (سوات) وثبت أن القوات الباكستانية أضعف من أن تقوم بعملية عسكرية أخرى في جنوب وزيرستان أو غيرها،

5- Dawn 9-5-2009

6- Dawn 2-5-2009

7- Dawn 5-5-2009

كما لا يستطيع الأمريكان بعد العراق شن حرب جديدة على أي دولة في العالم! وكل ما يستطيعه الجيش هو إرسال المقاتلات الأمريكية الصنع لتقصف مناطق مهجورة في وزيرستان وتقتل الحيوانات الشاردة أو المتبقية في البيوت حتى يثبتوا لأسيادهم الأمريكان أنهم ماضون في حربهم ضد الطالبان ومن ثم يربتون على أكتافهم كما يفعلون مع كلاب الصيد إذا أمسكت بفريسة![8]

وللحقيقة والتاريخ فإن خسائر المجاهدين البشرية بعد أكثر من ثلاثة أشهر من المعارك لا تتجاوز المائة مجاهد وأما خسائرهم المادية فلا تكاد تذكر لأن رأس مال كل واحد منهم هو الرداء الذي يلبسه والرشاش الخفيف الذي يحمله، بينما وصلت خسائر قوات الارتداد والعمالة إلى أكثر من ألف وخمسمائة قتيل، وتدمير عدد كبير من الآليات والمروحيات العسكرية، ومن ذلك تدمير معسكر حرس الحدود بعد الاستيلاء على الأسلحة منه وكذلك تفجير مركز شرطة (چينگالي) في مدينة (بونير))[9]!

ثبت أن القوات الباكستانية أضعف من أن تقوم بعملية عسكرية أخرى في جنوب وزيرستان أو غيرها، كما لا يستطيع الأمريكان بعد العراق شن حرب جديدة على أي دولة في العالم! وكل ما يستطيعه الجيش هو إرسال المقاتلات الأمريكية الصنع لتقصف مناطق مهجورة في وزيرستان وتقتل الحيوانات الشاردة أو المتبقية في البيوت حتى يثبتوا لأسيادهم الأمريكان أنهم ماضون في حربهم ضد الطالبان

وحتى لا يقال إننا نبالغ في قول الحقيقة نذكر على سبيل المثال أن (الطالبان أوقفوا انتشار القوات الباكستانية في مدينة (منگورا) بإيقاف القافلة الذاهبة إليها وإجبارها على العودة من حيث أتت)[10]، كما (اعترضوا قافلة لحرس الحدود (FC) كانت في طريقها إلى (دير العليا) وأجبروها على العودة إلى مدينة (توتالاي) المحاذية لمقاطعة (صوابي) بعد تفجيرهم للعربة التي كان يستقلها قائد الفرقة گل سعيد والشرطي محمد يحيى فقتلا في كمين أعدوه للقافلة، ومن ثمَّ أفشلوا انتشار تلك القوات في مدينة (بونير))[11] إلى غير ذلك من العمليات الكثيرة التي ذكرها الإعلام الباكستاني على استحياء.

فشل ذريع في إيقاف الحملة الإعلامية للمجاهدين

ورغم أن الولايات المتحدة أعلنت أنها تعمل مع باكستان في إطار برنامج لتعطيل إذاعات الـ FM التي يستخدمها العلماء والمجاهدون الموالون للطالبان لتبصرة المسلمين بطبيعة المعركة ووقائعها التي تحدث يومياً، وهي القضية التي تمثل أهمية قصوى بالنسبة لهم فقد نص الاتفاق الموقع بين الجيش والمجاهدين في "سوات" في ١٦ فبراير ٢٠٠٩ على إنهاء البث الإذاعي بدون ترخيص حكومي ويعنون به أساساً الإذاعة التي كان يديرها ملا فضل الله أمير تحريك نفاذ الشريعة المحمدية في "سوات"، وحتى لا

8-للدلالة على كذب الحكومة الباكستانية وصدق المجاهدين فيما يعلنونه فإنه كان من المقرر أن يقوم "رينشارد هولبروك" المنسق الأمريكي الخاص بأفغانستان وباكستان بزيارة تفقدية لمنطقة العمليات خاصة "سوات" يوم 15-8-2009 للتأكد من صدق ادعاءات الجيش الباكستاني ولكن في نفس يوم الزيارة وقعت عملية استشهادية ضد القوات الباكستانية أسقطت عدداً كبيراً من جنوده بين قتيل وجريح. وألغت الحكومة الباكستانية الزيارة مدعية أن سبب الإلغاء يعود لسوء الأحوال الجوية!!

9- Dawn 1-5-2009

10- Dawn 26-4-2009

11- Dawn 24-4-2009

تكون هناك إلا جهة واحدة هي التي تغطي الأحداث التي ستقع ولتصيغ الأخبار حسب هواها ومصلحة الحرب الدائرة هناك، ولكن رغم التعتيم الشديد على أنباء المعارك في مقاطعات القبائل وأكاذيب وسائل الإعلام الغربية خاصة الـ BBC. فإن أخبار انتصارات المجاهدين وتدميرهم المتواصل للقوافل العسكرية الباكستانية والخسائر الحقيقية للجيش في مناطق القبائل تنتشر كالنار في الهشيم!

ماذا حقق الجيش والحكومة من وراء الحملة؟

رغم حشد القوات الباكستانية لأكثر من ١٥ ألف جندي مدججين بالمدرعات والآليات والأسلحة الثقيلة والطائرات المقاتلة والمروحيات الهجومية في مواجهة من قيل أن تعدادهم أربعة آلاف من المجاهدين المسلحين في الغالب بأسلحة خفيفة، ورغم الادعاء بأن "سوات" قد حررت وأنه بإمكان المشردين العودة إلى ديارهم فلم يرجع إلا بضعة آلاف –على حد زعمهم– وذلك لأن القتال لازال دائراً هناك والضحايا يتساقطون يومياً من القوات الباكستانية، الأمر الذي يكذّب ادعاء الجيش بانتهاء المعارك وتحرير الوادي.
هذا بالإضافة إلى إخلاف الحكومة لوعدها للمشردين بمنحهم مبالغ مالية تصل إلى ٢٥ ألف روبية (حوالي ٣١٣ دولاراً) للأسرة الواحدة ومواد غذائية تكفيها لمدة شهر، وتوفير وسائل النقل لإعادتهم، بجانب افتقاد المدن في المقاطعة لكل مقومات الحياة، ودمار الطرق والبيوت وكل شيء بعد هذه الهجمة التتارية التي لم تشهد الدولة ولا المنطقة لها مثيلاً، فضلاً عن افتقاد الأمن وهو السبب أصلاً للتشرد!
وكانت العمليات العسكرية الباكستانية قد بدأت في منطقة "دير السفلى" في ٢٦ أبريل الماضي وبعد يومين (٢٨ أبريل) بدأت في "بونير" ثم "سوات" وغيرها، ورغم ذلك فإن الجيش الباكستاني لم يحقق النصر الموعود إلى الآن، وخسائره المادية والبشرية تتزايد يومياً، والرأي العام يتحول من صف الحكومة –كما كانوا يدّعون في البداية– إلى النقمة عليها والتعاطف مع المجاهدين والمشردين الذين سيتحول الآلاف منهم إلى قنابل موقوتة وأحزمة ناسفة ومقاتلين ضد الحكومة! فما الذي ربحته الحكومة العميلة من تلك الغزوة الهمجية؟!

توقيت الحملة يفضح العملاء ومَنْ وراءهم

هذا يدفعنا للتساؤل عن الأسباب التي دفعت الجيش نيابة عن الحكومة للخوض في هذا المستنقع وفي هذا التوقيت، وهي التي عندها من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والأمنية ما لا يعلمه إلا الله؟!
من المعلوم أن الهجوم على مقاطعة "سوات" وأخواتها تزامن مع زيارة آصف زرداري للولايات المتحدة وتلقيه وعداً بدعم مالي أمريكي في حال التحرك ضد الطالبان، فأعلن من هناك شن حرب لا هوادة فيها على مسلحي حركة طالبان باكستان! وأن رئيس الوزراء "يوسف رضا گيلاني" قد قال للشعب الباكستاني تبريراً لتلك الحرب: ("من أجل استعادة شرف بلادنا وكرامتها وحماية الناس، طلبنا من القوات المسلحة القضاء على المسلحين والإرهابيين .... نحن لن نركع أمام الإرهابيين والمتطرفين وسنجبرهم على إلقاء أسلحتهم")[12].

12- Dawn 7-5-2009

وأما الجنرال (أشفق كياني) رئيس الأركان والقائد العام للقوات الباكستانية فقد تعهد بالصرامة والشدة ضد المسلحين، وأن النصر عليهم سيتحقق بأي ثمن!

من هم الذين يقفون وراء حملة (سوات)

يقف وراء الحملة الثلاثي النجس (زرداري وگيلاني وكياني) وهم رأس البلاء وعمدة الشقاء لشعب باكستان، اثنان منهما غنيان عن التعريف وأقصد بهما: الرئيس (هبة الراحلة بي نظير) المدعو السيد ١٠٪ آصف زرداري، والذي أمضى قرابة الاثنتي عشرة سنة في السجن بتهم جنائية لا تعد ولا تحصى! والثاني قائد الجيش الجنرال الإمعة العميل الذي يستدعيه قادة القوات الأمريكية ليقابلوه أين ومتى شاؤوا، ويكون الاجتماع ليس للتشاور معه وإنما لإصدار الأوامر إليه! ولكن من باب التذكرة فإن كياني كان من أكبر أسباب نجاح الانقلاب الذي قام به مشرف على رئيس الوزراء آنذاك نواز شريف عام ١٩٩٩، وأنه كان محل ثقة مشرف وأشد أنصاره ولذا عينه الأخير نائباً له في رئاسة الأركان، ثم رئيساً للأركان عندما اضطر للتخلي عن منصبه العسكري والاكتفاء برئاسة الجمهورية فقط نهاية عام ٢٠٠٧.

يقف وراء الحملة الثلاثي النجس (زرداري وگيلاني وكياني) وهم رأس البلاء وعمدة الشقاء لشعب باكستان، اثنان منهما غنيان عن التعريف وأقصد بهما: الرئيس (هبة الراحلة بي نظير) المدعو السيد ١٠٪ آصف زرداري، والذي أمضى قرابة الاثنتي عشرة سنة في السجن بتهم جنائية لا تعد ولا تحصى! والثاني قائد الجيش الجنرال الإمعة العميل الذي يستدعيه قادة القوات الأمريكية ليقابلوه أين ومتى شاؤوا، ويكون الاجتماع ليس للتشاور معه وإنما لإصدار الأوامر إليه!

وأما ثالثة الأثافي فهو رئيس الوزراء يوسف رضا گيلاني ولمن يجهلونه نعرض للقراء الكرام بعض ما ذكر عنه:

- من مواليد ٩ يونيه ١٩٥٢.
- تلقى تعليمه الأولي في مدرسة Forman Christian College النصرانية في لاهور، ثم في مدرسةLa Salle High School النصرانية العليا في ملتان.
- كان وزيراً للأشغال العامة والإسكان ثم وزيراً للسكك الحديدية في حكومة جونيجو خلال عامي ١٩٨٥-١٩٨٦.
- عمل وزيراً للسياحة ثم وزيراً للأشغال العامة والإسكان خلال عامي ١٩٨٩-١٩٩٠ وذلك في حكومة بي نظير بوتو الأولى.
- كان رئيس المجلس النيابي القومي (البرلمان) من ١٧ سبتمبر ١٩٩٣ إلى ١٦ فبراير ١٩٩٧.

لم يخض الانتخابات العامة عام ٢٠٠٢ لأنه كان في السجن بتهمة الاختلاس والتلاعب في كشوف الرواتب الحكومية بإضافة أسماء وهمية، وقد أفرج عنه في ٧ أكتوبر ٢٠٠٦ بعد أن أمضى خمس سنوات فيه، وبعد ذلك فاز بمقعد المجلس النيابي القومي في انتخابات عام ٢٠٠٨ ثم برئاسة الوزارة!

قضية تطبيق الشريعة والفرصة الذهبية

نعود إلى الحديث عن "سوات" وقضية تطبيق الشريعة فيها التي طال الجدل حولها، حيث كانت الحكومة قد وافقت على ذلك التطبيق "الحصري" مكيدة منها للتدخل العسكري المباشر في المقاطعة!

ففي شهر أبريل الماضي وافق الرئيس الدمية "زرداري" على "تطبيق الشريعة" في "سوات" وهي ضمن شروط الاتفاق الذي وقع بين الحكومة والمجاهدين وشمل أيضاً تشكيل محاكم شرعية ودار للقضاء ودفع تعويضات للمتضررين جراء العمليات العسكرية للجيش هناك، وانسحاب القوات العسكرية من الوادي، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ولم تمهل الحكومة المجاهدين إلا أياماً معدودات ثم ادعت أنهم خالفوا بنود الاتفاق بدخولهم إلى "بونير" ومن ثم بدأ الجيش عمليته العسكرية الواسعة فيها التي كان قد أعد لها سابقاً، كرد فعل للحملة الإعلامية الهائلة التي افتعلها الغرب على أساس أن الطالبان صاروا على بعد ١٠٠كم فقط من إسلام آباد وأنهم أصبحوا خطراً على الأسلحة النووية الباكستانية، ومن ذلك قول وزير الدفاع الأمريكي (روبرت جيتس): (إن الطالبان في باكستان ذهبوا بعيداً جداً عندما دخل مقاتلوها إلى مديرية تبعد ١٠٠كم فقط من إسلام آباد)، ولكنه أعرب عن ثقته أن الجيش الباكستاني يقاتلهم بشراسة! ثم جاء الدور على الحكومة الباكستانية لإكمال فصول المسرحية بافتعال حادثة جلد امرأة علناً في (سوات) لاتخاذها كذريعة لشن حملة إعلامية وسياسية وشعبية عارمة ضد الطالبان، ثم أعلنت تملصها من تلك المعاهدة وإعلان الحرب على المقاطعة!

وختاماً نخلص إلى أن الحكومة الباكستانية وقواتها المسلحة وقعا في مأزق خطير لا يدريان كيفية التخلص منه، لأن الجيش إن قام بتوقيع اتفاق سلام مع المجاهدين كما كان يفعل في كل مرة، فسيعد ذلك انتصار للطالبان سيشجعهم على المضي قدماً والتوسع في المناطق القبلية الأخرى التي ستحذو حذوهم، بل قد يمتد ذلك التوسع ليشمل الأقاليم والعرقيات الأخرى! وإن استمر في الحرب فإن التكاليف الباهظة من النفقات المالية والتضحيات البشرية سوف تستنزف ما بقي في خزينة الدولة والمخازن العسكرية ولا يوجد البديل أو التعويض بعد أن أخلفت الولايات المتحدة وحلفاؤها بوعودهم -كالعادة مع المسلمين وأشباههم- وأداروا ظهورهم لباكستان ويمموها شطر الهند حليفهم القوي صاحب (أكبر ديمقراطية في العالم) وعاشر قوة اقتصادية عالمياً!

والوقت ليس في صالح الحكومة الباكستانية وقواتها العميلة لأن الخيارات تتقلص أمامهما، ولكنه لصالح الإسلام والمسلمين والجهاد والمجاهدين .

والحمد لله رب العالمين.

انفذ على رسلك

بقلم الشيخ: عطية الله

الحلقة الخامسة

(تنبيه) :

اعلم أن الكثير من طوائف العمل الإسلامي تلومُ المجاهدين أو مَنْ اشتهرت تسميتهم بالجماعات الجهادية أو التيار الجهاديّ في الحركة الإسلامية (إما عموماً، أو طوائفَ منهم) – يلومونهم على الخروج على أئمة الردة ومنابذتهم بالسلاح، والسعي في تغييرهم بالقوة والحرب والعمل العسكريّ الجهاديّ، ويجعلون ذلك من الاستعجال المذموم، ويسوقون لهم حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم المذكور هنا وقوله في آخره : (ولكنكم تستعجلون)!!

وعند التأمل يظهر للباحث المنصف أن المجاهدين هم أسعدُ الناس بهذا الحديث، ولله الحمد والمنة، وأنه وإن توجّه إليهم أو إلى طوائفَ منهم اللومُ على الاستعجال في بعض الأوقات أو الأحوال، كما قد يقع الخطأ من غيرهم من سائر الناس، فإنهم في الجملة من أكثر المسلمين توفيقاً وتسديداً، ومن أسعدهم بهذا الحديث وغيره.

بيان ذلك على وجه الإجمال أن المجاهدين قائمون بفريضة الله تعالى في قتال هؤلاء الحكام المرتدين والسعي في إزالتهم وإقامة حكم الله تعالى مكان كياناتهم الجاهلية الكافرة، وأدلة الكتاب والسنة معهم في ذلك بشكل لا أوضح ولا أجلى منه، والحمد لله.

ومَن يستدل بهذا الحديث (ولكنكم تستعجلون) على المجاهدين ويخطئهم زاعماً أن خروجهم على أئمة الردة استعجالٌ فهو مخطئ محجوجٌ، وذلك من وجوه:

أحدها : أن كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها حقّ ووحيٌ ولا يعارض بعضها بعضاً، ونحن لا نضرب بعضها ببعض، بل نجمع بينها ونعمل بها كلها ونفهمها على الوجه الذي علمنا الله عز وجل من رد المتشابه إلى المحكم، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على وجوب منابذة وقتال هذه الحكومات المرتدة، فإذا ثبتت الأدلة على ذلك –وهي ثابتة وفي غاية الوضوح– فلا ينبغي لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعارضها بنصوص مجملة مثل هذا الحديث الذي له معنى واضحٌ، ولكنه مجملٌ، وليس هو وارداً في خصوص هذه المسألة.!

وقد بيّنا أن الحديثَ دالّ على ذمّ الاستعجال، وعمومُ هذا المعنى مسلّمٌ (أنّ الاستعجالَ مذمومٌ)، إنما الإجمالُ في: ما هي الصورة التي هي استعجالٌ؟! مع ضميمةِ أننا لابد أن نعتقد أن ما علمنا أنه حكمٌ

شرعيٌ ثابتٌ فلا يجوز أن يوصَف بأنه استعجالٌ.

الوجه الثاني : أن معنى الحديث : أنكم تستعجلون فتريدون تحصيل النصر واكتمال الأمر وزوال كل شدة وكرب بغير الطريق المعتادة شرعاً وقدراً، فنبههم صلى الله عليه وسلم إلى سنة الله تعالى في خلقه من ضرورة حصول الابتلاء لأهل الحق، وضرورة الصبر على الأذى، والثبات حتى يأذن الله ويأمر بأمره عز وجل، وقد جاء أمرُ الله فعلاً فأمرنا عز وجل بأن نخرج على الحاكم الكافر ونابذه ونقاتله حتى نخلعه ونزيله ونقيم حكم الله مكانه، وأما حين قال النبي صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة لخباب بن الأرث والصحابة فإن أمر الله بالجهاد لم يكن قد جاء بعد، وهذا واضحٌ جداً لمن تأمّله.!

وقد بيّنا معنى الاستعجال المتوجه إليه الذم في قصة الحديث.

الوجه الثالث : ولو قال قائل حالنا اليوم أشبه بحالهم ساعتئذٍ حينَ أمرهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالصبر وحذرهم من الاستعجال، فالجواب عدمُ التسليم بذلك، بل الفارق كائنٌ وكبيرٌ، فنحن قادرون اليوم على الجهاد، والجهاد قد شُرع ووجب حيث كنا قادرين، ولسنا نخافُ اليومَ على الدعوة أن تستأصل حتى لو قُتِل منا الكثير، ونحن حين ظننا أن لنا قدرةً وطاقة وقررنا الانطلاق في العمل العسكري (الجهاد) فمعنى ذلك أننا قررنا أنه لا مفسدة في ذلك تربو على مفسدة وجود واستمرار الحكومة الكافرة المرتدة واستمرار السكوت عليها، فانتهى الإشكال.!

الوجه الرابع : أنه إذا تقررت الأدلة على وجوب الجهاد -في مثل أحوالنا اليوم- واضحةً بيّنة كثيرة متضافرة، فلا ينبغي للمسلم أن يعارضها بمثل هذه الأقيسة التي في ضمنها تعطيلُ أدلة الشريعة وتعطيل حكم جليل من أحكامها، بل ذلك هو فعل المفتونين وصفة الزائغين الذين ذكر الله عز وجل، كما قال تعالى: (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ)، على أن هذه الأقيسة محتمِلةٌ للمقابلة بمثلها بل بما هو أقوى وأولى منها، وهو :

الوجه الخامس : أنه لو عكس خصمكم الدليل فقلبه عليكم، فقال : أنتم المستعجلون المذمومون في فعلكم، لأنكم تركتم طريق الجهاد والقوة وذات الشوكة التي أمر الله بها، وقامت عليها البراهين من كتابه عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإجماع أهل العلم بهما، وهي طريقٌ طويلة وشاقة صعبة محتوية على عظيم الابتلاءات والتمحيص بالجراح والقراح والحرمان والبُعد عن الأوطان ومفارقة الخلان...

واخترتم طرقاً أخرى استسهلتموها (رأيتموها وظننتموها سهلة) استعجالا للتغيير (النصر والظفر في ظنكم) وطلباً للراحة والسلامة وإشفاقاً على العيش الهنيّ أن ينخرم قانونه ويذويَ كانونه . لم يكن مُبعِ ـداً، بل هو مستقربٌ جداً، والله المستعان.!!

وتوضيحُه : أن الاستعجال الذي لاحظه الرسولُ صلى الله عليه وسلم في حال خباب وصحبه رضي الله عنهم ساعتها، كان وجهه كذا وكذا، والاستعجال الآن في حالنا هذه هو كذا وكذا. فتأمل.!

نعم قد يُتصَوّر أن يكون خروج بعض الخارجين على أئمة الكفر والردة استعجالاً في بعض الصورِ، وذلك إذا كان قبل استكمال الاستعداد والتهيؤ والأخذ بالأسباب الممكنة المتاحة، يعني أنه كان بإمكانه استكمالُ العدة والأخذُ ببعض الأسباب فترك ذلك وخرج بدونه، أو كان بإمكانه انتظارُ فرصته الجيّدة

القرية السانحة التي لاحتْ بوادرها وظهرت علاماتها وإرهاصاتها مثلا، فترك ذلك واستعجل الخروج ضجراً....!

لا مجرد الخروج على أئمة الردة في حدّ ذاته، مع بذل الوسع في الأخذ بالأسباب الشرعية الممكنة المتاحة، فهذا واجبٌ شرعيّ ثابتٌ بالأدلة القوية البيّنة التي تقترب في قوتها من القطع، فكيف يكون استعجالاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد سبق شيءٌ من شرح ذلك عند قولنا لكل شيءٍ إبّان.

وقولي (ضجراً) هو في قوة الصفة الكاشفة، فإن الخروج في مثل هذه الصورة التي وصفتُها لا ينفك عن الضجر، ولا يكاد يكون إلا عن تبرّم وقلة صبرٍ وربما انضاف إليها قلة الفقه والبصيرة.

وهنا ألمِحُ إلى أسباب الاستعجال (المذموم) :

فأولها قلةُ الصبر.. ومنها –وهو فرعُهُ– التضجّرُ والتبرّمُ من الحال والواقع، بدون النظر والتفكّرِ والتبيّن هل التحوّلُ إلى الحالِ الآخرِ خيرٌ أو لا، وممكنٌ أو لا، بل طلباً للتغيير مهما كان وعلى أي وجهٍ، حتى كأن التغييرَ مطلوبٌ لذاته، وإن إلى أسوأ.. فبان بذلك أن الأسباب إما راجعة إلى ضعفِ الإرادة أو ضعفِ العلم، أو إلى كليهما.

واللهَ الموفق، وهو أعلم وأحكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأله تعالى أن يرزقنا الهدى والسداد.

ومن الفوائد في هذا الحديث، بالإضافة إلى ذم الاستعجال :

- قوله : (والله ليتمّن الله هذا الأمر) يعني الدين الذي بُعث به صلى الله عليه وسلم وهو الإسلام.

- قوله (لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه) فيه ذكرُ الخوف الطبيعي الذي لا يؤاخذ العبدُ عليه، والمعنى : لا يخافُ لصّاً ولا ظالماً باغياً، لتمام حصول الأمن، بانتشار الإسلام وحكمه وسلطانه.

- في الحديث حكمةُ التصبير للأتباع والتبشير في أوقات الأزماتِ والشدائد، وله أمثلة كثيرة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كما بشّرهم في أشد أيام الخوف في غزوة الخندق (الأحزاب) بفتح بصرى واليمن ومدائن كسرى، وغيرها، وهكذا على القيادات في أوقات اشتداد الكرب أن يستعملوا التبشير ورفع المعنويات وتثبيت الأتباع، بالحق والعدل.

- وفيه ذكرُ الأسوة بالصالحين السابقين في موكب الإيمان، والتذكير بالاقتداء بهم في الصبر واليقين.

- فيه من الفقه: فضلُ من صبر على القتل ولم ينطق بكلمة الكفر، حيث جاز النطقُ بها للمكرَهِ المعذَّبِ، ففيه الترغيبُ في هذا المقامِ لمن تعرّض له، نسأل الله من واسع فضله وعافيته.

فائدة في معنى الرفق ، وحث الشريعة عليه، وذم ضده وهو العنف :

الرفق هو اللطفُ واللينُ واليسر والسهولة في معالجة الأمر.

والعنف ضده وهو الشدة في معالجة الأمر وتعاطيه.

وقد جاء في الشرع المطهر مدح الرفق كثيرا، وذم العنف.

ونذكر هنا طرفا مما ورد في ذلك من الأحاديث النبوية، ثم نتكلم في فروع للمسألة:

- قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله رفيق يحب الرفق).
رواه البخاري ومسلم، وأحمد وأبوداود وابن ماجة
ولفظ البخاري وابن ماجة: (إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله).
ولفظ مسلم وأكثر الباقين: (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه).
- وقال صلى الله عليه وسلم: (من يُحْـرَمِ الرفقَ يُحرم الخيرَ) . رواه مسلم وأحمد وأبوداود وغيرهم، ولفظ أبي داود : (...يُحرَم الخيرَ كله).
- وقال صلى الله عليه وسلم: (من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير). رواه الترمذي، وعند أحمد نحوه.
- وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه). رواه مسلمٌ وأبو داود وأحمد وغيرهم.
فهذه أصول الأحاديث في هذا الباب، ولها ألفاظ متقاربة، ولها موارد (قصص وردت فيها) تتّضح بها معانيها ويتبيّن بها فقهها وحدودها، كما سنشير إلى بعضها إن شاء الله تعالى.
ومن مجموع ما ورد في الكتاب والسنة في شأن الرفق واللين والرحمة والتلطف والتيسير، وأضدادها من العنف والشدة وما قاربها من معاني، نستطيع أن نخرج بالتوجيهات الآتية:
ألف) أن العدل والحكمة يقتضيان وضع كلٍ من الوصفين في محله اللائق به، فالرفق في موضعه والعنف في موضعه.
باء) ولذلك فإن خير الأخلاق أعدلها، و(العدل في الأخلاق) أصل من أصول التزكية، وراجع ما كتبه ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد في فصل في ذلك.
قال الله تعالى: { مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ }. وقال تعالى: { فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ }. وقال تعالى: { ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ }.
جيم) وأن المقصود بالرفق والرحمة والسماحة واللطف والتيسير المحمود والممدوح في الكتاب العزيز والسنة المطهرة هو ما كان في محله اللائق به ولأهله.
دال) وكذلك العنف المذموم والشدة ، المقصود بها ما كان في غير محله ولغير مستحقه وأهله، وإلا فإن العنفَ والشدة في محلها محمودةٌ مطلوبة بلا ريبٍ، كما تدل عليه الآيات المتقدمة مثلا، وغيرُها.
هاء) أنه ينبغي أن يكون الرفق هو الأصلَ وهو الغالبَ على الإنسان، ويكون العنف هو الاستثناء وهو الأقل وهو الذي يقدّر بقدره.
واو) وأن يكون الرفق هو الأسبق وبه تكون المبادرة، إلا أن يستوجب الحالُ عكسَـه.
جاء في الحديث في الصحيحين: (إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي، فهو

مكتوب عنده فوق العرش) هذا لفظ البخاري.
ولفظ مسلم: (لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي).
ولا يقال: هذا مبنيّ على التشبه بأفعال الله تعالى وصفاته، أو ما يسميه بعض أهل العلم الاقتداء بفعل الله، فإن هذا محل فيه تفصيل ويحتاج إلى مزيد تحرير، وليس الاعتماد هنا على مجرد ذلك، وإنما العمدة هنا أننا عرفنا أن الله عز وجل يحب من عبده ذلك، كما تدل عليه الدلائلُ الكثيرة.
قال الغزالي رحمه الله في الإحياء: (اعلم أن الرفقَ محمود، ويضاده العنفُ والحدة، والعنفُ نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة، وقد يكون سبب الحدة الغضب، وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت. فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسنُ الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال، ولأجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه... [ثم ذكر طرفاً من الأحاديث والآثار]، وقال: وقال سفيان لأصحابه : تدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد، قال: أن تضع الأمورَ في مواضعها؛ الشدة في مواضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه والسوط في موضعه؛ وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا *** مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمودُ وسط بين العنف واللين، كما في سائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباعُ إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف، وإن كان العنف في محله حسناً كما أن الرفق في محله حسن، فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحقُ الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد وهكذا.
وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: روي أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في التأني فكتب إليه معاوية: أما بعد، فإن الفهم في الخير زيادة رشد، وإن الرشيد من رشد عن العجلة، وإن الخائبَ من خاب عن الأناة، وإن المتثبّت مصيبٌ أو كاد أن يكون مصيباً، وإن العجل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئاً، وإن من لا ينفعه الرفقُ يضره الخرق، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي.
وعن أبي عون الأنصاري قال: ما تكلم الناس بكلمة صعبةٍ إلا وإلى جانبها كلمة أليَنُ منها تجري مجراها.
وقال أبو حمزة الكوفي: لا تتخذ من الخدم إلا ما لابد منه، فإن مع كل إنسان شيطاناً، واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئاً إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه. وقال الحسن : المؤمنُ وقاف متأنٍ وليس كحاطب ليل.
فهذا ثناء أهل العلم على الرفق، وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور، والحاجة إلى العنفِ قد تقع ولكن على الندور، وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعةٍ من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجح معه في الأكثر). انتهى كلامه رحمه الله.
زاي) أن العنف المذموم والفحش قرينان..

ولهذا جاء في أحد ألفاظ البخاري في حديث عائشة رضي الله عنها المتقدم: «...ياعائشة عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش، قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيّ».

وفي لفظٍ لمسلم: (يا عائشة لا تكوني فاحشة، فقالت: أما سمعت ما قالوا؟ فقال: أو ليس قد رددتُ عليهم الذي قالوا؟ قلت: وعليكم».

وفي لفظ آخر له: (ففطنت بهم عائشة، فسبتهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مهْ يا عائشة، فإن الله لا يحب الفُحْشَ ولا التفحش ».

وفي لفظ ابن حبان في الحديث المتقدم: (...ولا كان الفحشُ في شيء إلا شانه).

وهذا محمول على أنه لفظُ النبي صلى الله عليه وسلم، هذا هو الأصل، ويُحتَمل أنه صلى الله عليه وسلم تكلم بهذه الألفاظ مجتمعة فذكر في كلامه لفظ (الفحش) ولفظ (العنف) فروى بعض الرواة هذا وبعضهم هذا، كما يحتَمل أنه تكلم بإحداها، فحفظ بعضهم نفس اللفظ، وروى بعضهم بالمعنى، وأكرم بهم من علماءَ بالمعاني، رضي الله عنهم، والله أعلم.

والفحش عنفٌ لأنه شدة في القول في غير محلّها!

فلو كان الكلام الفاحش (بحسبه ما تعطيه اللغة) في موضعه المناسب —وهو قليلٌ جداً– فإنه حينئذٍ لا يكون عنفاً ولا فحشاً شرعاً، كما جاء في الحديث: (من تعزّى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهنّ أبيه ولا تكنوا) وكما في قول أبي بكر رضي الله عنه لعروة بن مسعود الثقفي في الحديبية: (امْصُصْ بظرَ اللاتِ) وكان ذلك بحضرة النبيّ صلى الله عليه وسلم، فهذا مما وافقَ محلَّه المناسبَ واللائق به، فكان حكمة ورشاداً وصلاحاً، وخرج عن كونه فحشاً أو عنفاً مذموماً شرعاً، لكن لابد أن يُعرَف أن هذا قليل جداً، ويقدّر بقدره، ويُحتاط فيه ويُتثبَّتُ، والله أعلم.

حاء) الرفق في كل شيء ومع كل شيء حتى مع الدوابّ:

عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسانَ على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِـ ـتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحَ وليُحِـ ـدَّ أحدكم شفرته وليُـ ـرِحْ ذبيحته). رواه السبعة إلا البخاريّ.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سافرتم في الخِصْب فأعطوا الإبلَ حظها من الأرض، وإذا سافرتم في السَّنَة فبادروا بها نـ ـِقيها، وإذا عرّستم فاجتنبوا الطريق، فإنها طرق الدوابِّ ومأوى الهوام بالليل).

وفي موطأ الإمام مالك مرسلاً: (إن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق ويرضى به ويعين عليه ما لا يعين على العنف فإذا ركبتم هذه الدوابَّ العُجْمَ فأنزلوها منازلها فإن كانت الأرض جدبة فانجوا عليها بنقيها وعليكم بسير الليل فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وإياكم والتعريس على الطريق فإنها طرق الدواب ومأوى الحيات) اهـ .

وقصة البغي من بني إسرائيل التي سقتِ الكلبَ معروفة مشهورة..

وهديه صلى الله عليه وسلم وإرشادُهُ في حسن معاملة الحيوان معروفٌ.
واليومَ يتفاخر أهل العصر بمبدأ الرفق بالحيوان، وظنّ كثيرٌ من الغربيين أنهم أصحابه ومخترعوه وأنهم جذيله المحكك!! وما دروا أن ما نالوه من ذلك من الخير والصوابِ إنما هو وبيضٌ من أنوار النبوة وأثرٌ من أشعة الإسلام!

فالحمد لله رب العالمين، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

طاء) الرفق بالرعية: ومن الرفق رفق الأمراء والأولياء برعاياهم ومَن تحت ولايتهم بالتيسير عليهم وخدمتهم ورحمتهم والعطف عليهم والسعي في راحتهم ومصلحتهم.

جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا: (اللهم مَن ولي من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومَن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به).

ياء) التيسير من معنى الرفق، وهذا مبدأ يحتاجه المجاهد أكثر من غيره، يدلّ عليه كثرة وصاياه صلى الله عليه وسلم لمبعوثيه وأمراء سراياه ودعاته الذين يبعثهم إلى الناس بنحو قوله: (يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا)، ولأن المجاهد خصيصةُ عملِهِ ولبُّه الدعوةُ إلى الله تعالى وهدايةُ الناس والإتيان بهم إلى دين الله وتألفهم واكتسابهم، فهو محتاج إلى ذلك جداً، وبقدر حظه من ذلك يكون حظه من الخير والنجاح.!

وقد جاء في الحديث: (بعثتُ بالحنيفية السمحة) رواه أحمد والطبراني.

قال العلماء رحمهم الله: حنيفية في التوحيد ، سمحةٌ في الشرائع.

والسماحة معناها قريبٌ من التيسير واللطف والتوسعة، وهي ضدّ التكلّفِ والعنف والتعسير والتضييق.

وفي الحديث: (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى). رواه البخاري.

وأهلُ الزيغ اليومَ يُكثرون من ترديد لفظ السماحة ويصفون الإسلامَ بأنه دينُ التسامح، وهم يريدون بذلك معنى فاسداً مخالفاً لدين الإسلام، لأنهم يريدون به ما يلغي الولاءَ والبراء وبغضَ الكافرين ومعاداتهم والكفر بهم ومجاهدتهم، قاتلهم الله.

وأما نحن أهل الإسلام والسنة والجهاد فنعرف السماحة والتسامح الحق الذي جاء به محمدٌ صلى الله عليه وسلم، ونعرف حدوده وفقهه، والحمد لله رب العالمين، اللهم إنا نسألك من فضلك وعافيتك، ونسألك دوامَ التوفيق.

وسنضرب إن شاء الله في الحلقة القادمة أمثلةً على سماحة شريعة الإسلام في الجهاد وما يلحق به من أبواب معاملة الكفار.

(يتبع إن شاء الله).

الخوف من الله واستحضار معيته شرط للنصر والتمكين

كتبها الشيخ: مصطفى أبو اليزيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ... أما بعد:

فما زلنا مع التوجيه الرباني الكريم والذي أرشد فيه عباده المؤمنين إلى طريق النصر والفوز والفلاح والتوفيق في الدنيا، والنجاة من العذاب الأليم والعقاب الشديد والفوز برضوان الله وجنات النعيم في الآخرة مازلنا مع قول ربنا العزيز: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾)[1].

إنه الوعيد الشديد والوعد الأكيد من الرب العظيم، وعيد الله للظالمين المجرمين المعاندين للرسل والصادين عن سبيل الله والقاتلين لأولياء الله بالعذاب والهلاك والدمار. ووعد الله لرسله وعباده المؤمنين بالنصر والفتح والتمكين ولكن هذا النصر والتمكين مقيد بتحقق شرط وصفة في المؤمنين وهي (ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ) صفة الخوف من الله، الخوف من الوقوف بين يديه، والخوف من عذاب الله الأليم الشديد وهذا مربط الفرس، والتوجيه الرباني الذي نريد أن نقف معه ونبينه ونفصل فيه لأن هدفنا ومقصدنا في مسيرة جهادنا المباركة بعد رضا الله والفوز بالجنة والنجاة من النار التمكين لدين الله وإقامته في الأرض كلها قال الله تعالى: (وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾)[2]. فلابد من توفر الشروط والصفات التى ذكرها الله تعالى لتحقق موعوده الذي لا يتخلف بنصرة عباده المؤمنين والشرط والصفة التي معنا هي الخوف من الله.

أقوال العلماء في تفسير تلك الآيات:

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى (ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ) أي: وعيدي "[1] هذا لمن خاف مقامي بين يدي يوم القيامة، وخشي من وعيدي، وهو تخويفي وعذابي، كما قال تعالى: (فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾)[3]، ويقول الإمام الطبري رحمه الله (هكذا فِعْلي لمن خاف مَقامَه بين يديّ، وخاف وعيدي فاتّقاني بطاعته، وتجنَّب سُخطي، أنصُرْه على من أراد به سُوءاً وبَغَاه مكروهاً من أعدائي، أهلك عدوّه وأخزيه، وأورثه أرضَه ودِيارَه).

1- الآيتان : 13-14 من سورة إبراهيم.

2- الآية 39 من سورة الأنفال.

3- الآيات: 37-41 من سورة النازعات.

ويقول صاحب الظلال رحمه الله ({ ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد } ..ذلك الإسكان والاستخلاف لمن خاف مقامي، فلم يتطاول ولم يتعال ولم يستكبر ولم يتجبر. وخاف وعيد، فحسب حسابه، واتقى أسبابه، فلم يفسد في الأرض، ولم يظلم في الناس، فهو من ثمَّ يستحق الاستخلاف، ويناله باستحقاق.

ونقول إن الخوف والخشية من الله ومن عذابه وسخطه لابد منها ليسير العبد في طريق الجهاد والقيام بهذه الفريضة والتي هي فرض عين في هذا الزمان يقول الله تعالى: (**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾**)[4] ولهذا بين عزَّ وجلَّ أنه حتى يقاتل المؤمنون أئمة الكفر ينبغي أن يخافوا الله ويخشوه ولا يخافوا من غيره قال تعالى: (**أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾**)[5] وقال تعالى (**إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾**)[6].

حـقـيقـة الخـوف من اللـه

أما عن حقيقة الخوف من الله فقد قال صاحب الإحياء رحمه الله (الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي، وتارة يكون بهما جميعاً وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون! فتكون قوة خوفه.

فأخوف الناس لله أعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "أنا أخوفكم لله" وفي رواية البخاري من حديث أنس رضي الله عنه: "والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له". وللشيخين من حديث عائشة رضي الله عنها: "والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية"، وكذلك قال الله تعالى: (**إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ**)[7]! ثم إذا كملت المعرفة أورثت جلال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات.

فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين: أحدهما الخوف من عذابه، والثاني الخوف منه. فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر! المطلعين على سر قوله تعالى: (**وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ**)[8]وقوله عزَّ وجلَّ: (**ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ**). وأما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وسبب ضعف الإيمان) انتهى كلامه رحمه الله.

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين": (ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين

4- الآيتان: 38-39 من سورة التوبة.

5- الآية 13 من سورة التوبة.

6- الآية 175 من سورة آل عمران.

7- سورة فاطر: 28.

8- سورة آل عمران: 28.

منزلة الخوف وهي من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب وهي فرض على كل أحد قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[9]، وقال تعالى: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[10]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾[11]، ومدح أهله في كتابه وأثنى عليهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ... إلى قوله تعالى: أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[12].

وفي المسند والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله قول الله "وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ..."[13] أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: "لا ياابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه"! قال الحسن: عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم إن المؤمن جمع إحساناً وخشية والمنافق جمع إساءةً وأمناً! وقال أبو سليمان: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب! وقال إبراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها وطرد الدنيا عنها! وقال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق!

الخوف المحمود والتخويف المذموم

والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط! قال أبو عثمان: "صِدْق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً". وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: "الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله". وقال صاحب المنازل: "الخوف هو الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر يعني الخروج عن سكون الأمن باستحضار ما أخبر الله به من الوعد والوعيد. القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر! فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران! ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر".

ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف هذه طريقة أبي سليمان وغيره قال: "ينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف فإن غلب عليه الرجاء فسد"، وقال غيره: أكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف وغلبة الحب فالمحبة هي المركب والرجاء حاد والخوف سائق والله الموصل بمنه وكرمه) انتهى قوله رحمه الله.

صور من عذاب الله كما وردت في الكتاب والسنة

ولنذكِّر هنا بنذر يسير مما جاء في كتاب ربنا سبحانه وتعالى وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم عن عذاب الله الأليم الشديد حيث يقول سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[14] ويقول عز من قائل: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ

9- سورة آل عمران: 175.
10- سورة النحل: 51.
11- سورة المائدة: 44.
12- سورة المؤمنون 57-61.
13- سورة المؤمنون 60.
14- سورة النساء 56.

أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾)[15]. وقال سبحانه: (بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾)[16]! وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله! قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلها مثل حرها".

وفى أفراد مسلم، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها" .

عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ فَيَسْتَغِيثُونَ فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِى مِنْ جُوعٍ فَيَسْتَغِيثُونَ بِالطَّعَامِ فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ ذِى غُصَّةٍ فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الْغُصَصَ فِى الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ فَيَسْتَغِيثُونَ بِالشَّرَابِ فَيُرْفَعُ إِلَيْهِمُ الْحَمِيمُ بِكَلاَلِيبِ الْحَدِيدِ فَإِذَا دَنَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَتْ وُجُوهَهُمْ فَإِذَا دَخَلَتْ بُطُونَهُمْ قَطَّعَتْ مَا فِى بُطُونِهِمْ فَيَقُولُونَ ادْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى. قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلاَلٍ. قَالَ فَيَقُولُونَ ادْعُوا مَالِكًا فَيَقُولُونَ (يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) قَالَ فَيُجِيبُهُمْ (إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ)». قَالَ الأَعْمَشُ نُبِّئْتُ أَنَّ بَيْنَ دُعَائِهِمْ وَبَيْنَ إِجَابَةِ مَالِكٍ إِيَّاهُمْ أَلْفَ عَامٍ. قَالَ « فَيَقُولُونَ ادْعُوا رَبَّكُمْ فَلاَ أَحَدَ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَيَقُولُونَ (رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) قَالَ فَيُجِيبُهُمْ (اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ) قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَئِسُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَعِنْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُونَ فِى الزَّفِيرِ وَالْحَسْرَةِ وَالْوَيْلِ»[17]!

صفة البكاء من خشية الله وكيفية تحقيقها

وعوداً لمسيرتنا الجهادية المباركة ولننظر في أحوالنا وأمورنا وهل نحن قد حققنا أو نسعى لتحقيق هذه الصفة لننال توفيق الله ونصره وتمكينه؟ فمن علامات اتصاف العبد بهذه الصفة بكائه من خشية الله والبكاء خوف نار جهنم هو البكاء من خشية الله لأنه بكاء من خشية عقاب الله وسخطه والبعد عنه وعن رحمته وجواره ودار كرمته. [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: عينان لا تمسها النار عين بكت في جوف الليل من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله عز وجل][18] وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لا يلج النار رجل بكى من

15- سورة الإسراء 97.

16- سورة الفرقان 11-14.

17- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَنَا عَاصِمُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا قُطْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ شِمْرِ بْنِ عَطِيَّةَ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: وَالنَّاسُ لاَ يَرْفَعُونَ هَذَا الْحَدِيثَ. قَالَ أَبُو عِيسَى: إِنَّمَا نَعْرِفُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ شِمْرِ بْنِ عَطِيَّةَ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ قَوْلَهُ وَلَيْسَ بِمَرْفُوعٍ. وَقُطْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ هُوَ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ.

18- أخرجه الترمزي وقال: حديث حسن.

خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع"[19]! فمن منّا قام في جوف الليل وبكى من خشية الله؟! من منّا ذكر الله خالياً ففاضت عيناه بالدمع؟! وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل (أي صوت غليان الماء) من البكاء في الصلاة! ووصف الله عباده العلماء الخاشعين الخائفين بقوله تعالى (قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾)[20].

من منّا يكثر التعوذ من النار وقد مدح الله تعالى من يتفكر في خلق السموات والأرض فيستحضر عظمة ربه عزّ وجلّ وشدة عذابه والنار فيكون أول طلبه ورجائه أن يقيه الله عذابها قال الله تبارك وتعالى: (ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾)[21] (فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ).

و في الصحيحين [عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذكر الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر وفيه: "إن الله عزَّ وجلَّ يسألهم وهو أعلم بهم فيقول: مم يتعوذون؟ فيقولون: من النار! فيقول: وهل رأوها؟ قالوا: لا والله ما رأوها! فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد منها مخافةً! قال: فيقول: إني أشهدكم أني قد غفرت لهم"]

و قال عثمان بن أبي العاتكة: قال أبو مسلم الخولاني: "ما عرضت لي دعوة إلا ذكرت جهنم فصرفتها إلى الاستعاذة منها".

الفرق بين الخاشعين لله والمغترين بأعمالهم الدنيوية

وهل الذين لا يفتشون في أنفسهم وفي قلوبهم عن نياتهم وهل جهادهم خالصاً لوجه الله أم خالطته نيات أخرى من حب الظهور ومراءاة الناس والعجب هل هؤلاء يخافون وقوفهم بين يدي الله عزَّ وجلَّ ويخافون عذاب جهنم؟! وقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من بين أوّل من تسعر عليهم نار جهنم رجل قاتل في سبيل الله حتى قتل ولكن كانت نيته أن يقال عنه أنه مجاهد شجاع جريء فقد أخذ ما كان يريد في الدنيا وله في الآخرة عذاب النار! أعاذنا الله وإياكم منها!

وهل الذين يجاهدون وهم لا يتحرون في جهادهم ما أحل الله وحرّم فيقتلون النفس التي حرم الله أن تقتل بأدنى شبهة أو بسبب عدم تعلم ما يحل دمه وما يحرم، هل هؤلاء يخافون الله تعالى ويخافون عذابه؟ وقد قال الله تعالى: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾)[22].

19- أخرجه النسائي والترمزي وقال : صحيح.

20- سورة الإسراء: 107-109.

21- سورة آل عمران: 191.

22- سورة النساء: 93-94.

عاقبة التولي والركون إلى حكم الطواغيت

وهل الذين يتركون طريق الجهاد في سبيل الله ويرجعون إلى أوطانهم ليعيشوا أذلاء تحت حكم الطاغوت: يرون المنكرات العظام وتنتهك حرمات الله وهم ساكتون قاعدون بعد أن منَّ الله عليهم وهاجروا في سبيل الله وذاقوا طعم الحرية وكانت أسلحتهم على أكتافهم، وشرَّفهم الله تعالى بالإعداد والجهاد في سبيله، هل هؤلاء يخافون المقام بين يدي الله وسؤال الله وحسابه وعقابه؟! وقد قال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾[23]، وقال العزيز العليم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾[24]، وقال سبحانه أيضاً: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾[25].

فالحذر الحذر عباد الله المجاهدين من النكوص على الأعقاب وكفر نعمة الله عليكم وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾[26] أعاذنا الله وإياكم من الحَور بعد الكَور.

وجوب العمل في جماعة وترك المعاصي

والحذر الحذر من ترك العمل مع الجماعة فإنه أول الطريق لترك طريق الجهاد! فالجماعة رحمة والفرقة عذاب، وقد أمر الله تعالى بالاعتصام بالجماعة ونهى عن الفرقة فقال سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾ وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[27].

واحذروا المعاصي كلها صغيرها وكبيرها وخصوصاً معاصي اللسان من الغيبة والنميمة والكذب والتثبيط والفتنة والوقيعة بين المسلمين والمجاهدين قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[28]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وهل يكب الناس في النار على مناكبهم إلا حصائد ألسنتهم)[29] أعاذنا الله وإياكم من النار ومن غضب الجبار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

23- سورة النساء 97-98.

24- سورة الأنفال: 15-16.

25- سورة التوبة 81-82.

26- سورة النحل:92.

27- سورة آل عمران: 105.

28- سورة التحريم: 6.

29- سنن ابن ماجه وصحيح الألباني.

قـراءة فـي كـتـاب

امبراطورية الفساد والإفساد قراءة نقدية لكتابي جون "بيركنز"

بقلم : يحيى بن سيف الدين

الحلقة الأولى

تُعتبر اعترافات الناشط الأمريكي (جون ''بيركنز'')[1] من أهم ما أفرزه الغرب الصليبي منذ الحادي عشر من سبتمبر لكشف زيف الدعاوى الصليبية وبيان الأسباب الحقيقية لغزوتي نيويورك وواشنطن المباركتين. فقد جاء كتابا ''بيركنز'' (اعترافات رجل اقتصادي سفاح مأجور)[2] و(التاريخ السري للإمبراطورية الأمريكية)[3] نتيجةً مباشرةً لتلك العمليات التاريخية التي أثرت في نفوس الناس من مسلمين وكافرين على السواء فهزتها وغيرت من أولوياتها وأجبرتها على إعادة حساباتها، تماماً كما هزت تلك العمليات أمماً بأكملها وغيرت من الأولويات السياسية والاجتماعية للدول والحكومات والشعوب.

ولكن بخلاف البعض الذي لم تزده تلك الهزات إلا طغياناً وعدواناً وتجبراً، فقد أدرك ''بيركنز'' أنه لا يسعه السكوت وأنه لا سبيل أمامه إلا الإقرار بذنبه والبوح على الملأ بالحقائق الخطيرة التي طالما سعى أكابر المجرمين إلى إخفائها عن عموم الشعب الأمريكي – على الأقل – وإن لم يمكنهم إخفاؤها عن الملايين من ضحايا الأمريكيين حول العالم.

ولاشك أن هذا الانفتاح المتصاعد والحرص على إظهار الحقيقة المخفية، الذي أصبح توجهاً ملحوظاً عند مجموعة من أبناء الحضارة الغربية وعمدة حكامها الحاليين والسابقين، يعد إحدى الآثار الحميدة المتعددة للغزوات المباركة التي مازالت نتائجها المحمودة تنكشف يوماً بعد يوم رغم مرور ثمان سنوات على وقوعها على رؤوس الظالمين.

من هو رجل الاقتصاد السفاح؟

في أول صفحة من كتابه (الاعترافات)، يصف (بيركنز) رجال الاقتصاد السفاحين بأنهم (محترفون يتلقون رواتب عالية ويقومون عن طريق الاحتيال والغش والخداع بنهب تريليونات الدولارات من مختلف بلدان العالم، كما أنهم ينقلون أموالاً من البنك الدولي ووكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية[4] وغيرهما من منظمات «الإغاثة» الأجنبية ليسربوه إلى حسابات وخزائن الشركات العملاقة وجيوب عدد قليل من العائلات الثرية التي تتحكم في موارد العالم الطبيعية. وأدواتهم التي يستخدمونها في سبيل ذلك

1- John Perkins.

2- Confessions of an Economic Hit Man (2004)

3- The Secret History of the American Empire (2007)

4- United States Agency for International Development (USAID)

تشمل التقارير المالية المضللة والانتخابات المزورة والرشاوى والابتزاز والدعارة والقتل [التصفية]. إنهم يلعبون لعبة قديمة نشأت مع نشوء أقدم الإمبراطوريات، ولكنها لعبة قد اتخذت أبعاداً جديدة ومرعبة في عصرنا هذا، عصر العولمة. وأنا أعلم ذلك لأني كنت رجل اقتصاد سفاح)[5].

ثم يستطرد "بيركنز" من خلال صفحات كتابيه في فضح الخطط والحيل والوسائل التي يستخدمها هؤلاء المرتزقة في سبيل فرض هيمنة الإمبراطورية الأمريكية الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية، مبيناً ذلك بقصص واقعية من حياته وحياة آخرين كشفوا له عن سيرتهم الإجرامية. إلا أنه يجدر بنا — قبل أن نسرد بعض التفاصيل— أن نشير أولاً إلى ملابسات قرار "بيركنز" بالإفصاح عن ماضيه الأسود وإخبار الأمريكيين بحقيقة جرائم حكومتهم وإنذارهم بمستقبل مظلم إن لم ينتفضوا على ما يسميه "بيركنز" بـ .(حكومة الشركات) وممثليها في واشنطن.

لحظة الحقيقة :

ترك (بيركنز) العمل بصفة رجل اقتصاد سفاح في ١٩٨٠م، على إثر عطلة أمضاها في مجموعة من جزر البحر الكاريبي التي كانت تخضع لنفوذ الإمبراطورية الأسبانية في أزمان مضت. يقول "بيركنز": (في مساء أحد الأيام، وأثناء جلوسي على جدران منهدمة تعود لمزرعة قديمة لقصب السكر، كنت أتخيل الأهوال التي تعرض لها العبيد الأفارقة الذين بنوا تلك المباني، فأدركت أني كنت متاجراً بالرقيق أيضاً [مثل مالكي أولئك الرقيق]. وعندئذ وبعد سنوات من الاضطراب العاطفي، عزمت على الخروج [من تلك المهنة]. فركبت طائرة وعدت إلى مدينة بوستن وقدمت استقالتي. إلا أني لم أكشف عن الحقائق المروعة الكامنة وراء هذه الإمبراطورية الجديدة. بل استسلمت للتهديدات والرشاوى، وأجلت الأمر. وخلال السنوات التالية، كان ماضيّ يلاحقني، ويعيش معي في كلّ ما كنت قد فعلته واطلعت عليه. ثم بعد مدة يسيرة من الحادي عشر من سبتمبر-أيلول، وقفت على حافة تلك الهاوية المروعة المشتعلة التي كانت في يوم من الأيام مركز التجارة العالمي، وتيقنت أخيراً أنه يتحتم علي أن أقدم خدماتي: إنه علي أن أعترف.)[6]

ويروي "بيركنز" —السفاح التائب!— تفاصيل زيارته لموقع غزوة مانهاتن، والتي خلالها عقد العزم على كتابة اعترافاته بعد عقدين من التردد والخوف والضعف: (كان الموقع مازال يتصاعد منه الدخان، وكان بالإمكان شم رائحة الأجساد المحترقة. ولقد تأثرت كثيراً بالحادثة. وبينما كنت أتأمل الحفرة، شعرت بشيء يهزني من الأعماق. شعرت بالمسؤولية عما يحدث.)[7]

ويضيف "بيركنز": (أنا لا أصادق على ما فعله أسامة بن لادن...، ولكن الحقيقة هي أن جزءاً من المسؤولية يقع على عاتقنا، وبنظر العديد من الناس حول العالم هو بطل. عندها وجدت من واجبي أن أروي القصة كما هي وأحمّل بعض مسؤولية ما حدث للحكومة الأمريكية وجهاز مخابراتها خلال

5- Confessions of an Economic Hit Man- ، ص ix.

6- The Secret History of the American Empire- ، ص 35.

7- من فيلم (المطلوب...رطل من اللحم Apology of an Economic Hit Man) ترجمة قناة الجزيرة القطرية.

الخمسين سنة الماضية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وأدركت عندها أن الشعب الأمريكي لا يفهم لماذا قام أسامة بن لادن بما قام به، فيجب توضيح هذا الأمر بجلاء ودقة وشفافية.)[8]

(ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ) :

لا شك أنه يجب أن يعرف الأمريكيون لماذا جمهور أهل الأرض يبغضونهم وحكومتهم، ولكن: سبحان الله! ألم تكف (بيركنز) معرفته أن الملايين من بني البشر -من غير الأمريكيين طبعاً- يموتون ويقتلون ويمرضون ويجوعون يومياً نتيجة أفعال حكومته؟! أولم تكفه معرفته أن البيئة والمناخ والغابات والبحار وحتى الحياة نفسها مهددة نتيجة الأفاعيل التي فعلتها حكومته وتفعلها؟! أولم يكفه كل ذلك ليكون محفزاً له على الاعتراف وإعلان الحقيقة المرة؟! أم لزمه أن يرى الموت والدمار أمامه وأن يرى أبناء قومه يُقصَفون كما نُقصَف، ويحترقون كما نحترق، ويتمزقون كما نتمزق؟! ألا إنه شاهد آخر على صحة تقديرات تنظيم القاعدة عندما قرر مهاجمة العدو في عقر داره، فكانت تلك الغزوات المباركة بالنسبة للعديد من أبناء الحضارة الغربية الشعلة التي جعلتهم يتوجهون نحو الحق، فمنهم من أسلم وسلم من ظلمات الكفر وعذاب النار بإذن الله، ومنهم -ك . (بيركنز)- من قرر الإقرار بالذنب ومحاولة إصلاح ما أفسد، وإن كانت مهمة تشبه المستحيلة ما دام (بيركنز) ومن ينهج نهجه من الناشطين الغربيين مصرين على الإبقاء على أسس الإمبراطورية من دستور ومحاكم ومجالس تشريع، وما داموا رافضين للثورة المسلحة على النظام الأمريكي الجائر.

والعجيب أن (بيركنز) يشيد بمؤسسي الولايات المتحدة الذين ثاروا على الإمبراطورية البريطانية ويدعو إلى الاقتداء بهم للتخلص من هذه الإمبراطورية المعاصرة، ثم ينسى أو يتناسى أن ثورتهم على الانجليز كانت ثورة مسلحة عنيفة تهدف إلى التخلص التام من الاستعمار وعملائه وتبديله بنظام حكم أكثر عدالة، وليس مجرد تغيير الحكم من الداخل بالأساليب السلمية كما يدعو إليه هو. فلا يفل الحديد إلا الحديد، والعمل السلمي -وحده- لم يأتِ ولن يأتيَ بجديد. ويجب أن يكون (بيركنز) أعلم الناس بذلك، فقد شاهد بنفسه وروى لنا كيف أنه إذا ما فشل هو وزملاؤه في تحويل الحكام والحكومات إلى عبيد لأمريكا عن طريق الترهيب والترغيب والرشاوى والضغوط، فقد كانت فرق الاغتيال تتدخل لتصفية المصرين على الاستقلال والرافضين للتبعية كي يتم استبدالهم بآخرين مستعدين للتعامل مع الشيطان الأمريكي. وإذا فشلت فرق الاغتيال، لجاؤوا إلى التدخل العسكري السافر، كما حدث في باناما والعراق وغيرهما.

ومع ذلك، فينبغي القول إنه لا يهمنا منهج (بيركنز) في التغيير ولا عقيدته ولا دوافعه بقدر ما يهمنا المعلومات المهمة والحقائق الخطيرة والصراحة النادرة التي يتصف بها كتاباه. وكون الرجل يخالفنا في العقيدة والمنهج لا ينقص ذلك من قيمة المعلومات التي زوّدنا بها، فشهادة الكافر على الكافر مقبولة. بل شهادات (بيركنز) مقبولة ونافعة حتى ولو افترضنا أنه موجَّه من قبل حكومته الخداعة - وهو في الواقع أمر مستبعد خصوصاً وأن اعترافاته تمثل فضيحة مجلجلة لحكومات الغرب وحليفاتها ومؤسساتها الدولية وشركاتها العالمية.

8- المصدر السابق بتصرف.

القاعدة والمستضعفون :

مرت بنا إشارة (بيركنز) إلى الاحترام الذي يحظى به الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله في نفوس الملايين حول العالم نتيجة فعله البطولي المتمثل في القيام في وجه أعتى حملة صليبية استكبارية استعمارية عرفها التاريخ. ويسوق الكاتب شاهداً على أهمية المجاهدين بالنسبة للمستضعفين عندما يروي حديثاً جرى بينه وبين أحد قادة القبائل الإكوادورية الأمازونية التي تناضل من أجل حقوقها بمواجهة حكومة بلادها المتواطئة مع شركات النفط العالمية، التي لا تُلقي بالاً للسكان الأصليين في المناطق التي تستهدفها بالنهب والسلب والسرقة والتخريب. فقد وجهت إحدى شركات النفط الأرجنتينية التهمة إلى أبناء تلك القبائل – إثر احتجازهم لمجموعة من عمال تلك الشركة لمدة قصيرة – بأنهم تدربوا على يد تنظيم القاعدة، وهي تهمة يرفضها أبناء تلك القبائل الوثنية أساساً الذين يحتجون على استثمار الشركات المدعومة أمريكياً لأراضيهم بدون إذن وبدون عوض. وصرح أحد قادتهم لـ . (بيركنز) أنه فيما إذا أجبرتهم سياسات حكومتهم على قتال المرتزقة التابعين لشركات النفط، فقد تتحقق تلك الإشاعة على أرض الواقع: (في السابق، كان بإمكان من أحس بالتهديد من قبل الولايات المتحدة التوجه إلى روسيا للحصول على السلاح والتدريب. وأما اليوم، فليس هناك أحد غير أولئك العرب)![9] وأما نحن، فنقول: لا ناصر إلا الله عز وجل، وما القاعدة إلا رجال منّ الله عليهم بالإسلام وهداهم إلى الجهاد والقتال في سبيل دينه وشريعته ضد طواغيت الشرق والغرب الذين يدنسون كرامة الشعوب المستضعفة وينهبون خيراتها وثرواتها بجشع وطمع لا نهاية له ومكر وخداع غير مسبوق.

ولكن ما أروع هذه التزكية من داخل أدغال الأمازون، فحقاً لم يتجرأ على قتال الجبروت الأمريكي إلا هذه الثلة من المسلمين الصادقين نحسبهم والله حسيبهم. وحريٌ بشعوب العالم المستهدفة من قبل الصليبية العالمية أن تحترمهم وتتشبه بهم وتعززهم وتنضم إليهم على طريق التوحيد والجهاد. فقوة تنظيم القاعدة وغيره من ألوية المجاهدين وكتائبهم تستمد من عقيدتهم وإيمانهم ووحدة صفوفهم وأهدافهم وليس من سلاحهم ولا عتادهم، فما الأخير إلا أسباب أمرنا ربنا باتخاذها فاتخذناها.

والمقارن بين النضالات المسلحة الفاشلة الطويلة المدى التي قادتها وتقودها التنظيمات الشيوعية والحركات القومية والتيارات العلمانية المتناثرة حول العالم والتي لم تحقق شيئاً يذكر في استعادة كرامة الشعوب التي باسمها قامت رغم الدعم الذي تقدمه لها قوى الدنيا الكبرى من دول وأنظمة ومؤسسات، وبين النتائج المذهلة التي حققها المجاهدون بحول الله وقوته خلال ثمان سنوات من الحرب على الإرهاب الصليبي رغم ضعفهم المادي وقلة من يناصرهم ويعينهم من الناس، لابد أن يلاحظ البون الشاسع والفرق الهائل بين نتائج جهود الفريقين، ولابد أن يدرك –إن رزقه الله البصر والبصيرة– أن ما حققه المجاهدون ما كان ليكون لولا توكلهم على الله وحده وطاعتهم إياه ونبذهم لكل الأفكار والمناهج والانتماءات والفلسفات والعقائد غير الإسلامية.

9- The Secret History of the American Empire -. ص 119.

أسئلة تنتظر أجوبة :

لماذا كل هذا الاهتمام من أمريكا والغرب بـ (تحديث) و(تطوير) و(تنمية) الدول النامية، لاسيما دول العالم الإسلامي؟ وما هي الدوافع الحقيقية وراء عمليات (الإغاثة) التي تقوم بها المؤسسات الغربية، الحكومية منها وغير الحكومية؟ ولماذا أصاب المجاهدون في اعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الحملة الصليبية على المستضعفين؟ وما هي ملابسات استسلام حكومات العالم عامة وحكومات المسلمين خاصة للهيمنة الأمريكية الصليبية؟ وماذا تريد أمريكا في جزيرة العرب؟ وما هي حقيقة ما يجري في دارفور، وفي الكونغو، وفي أمريكا الجنوبية، وفي غيرها من مناطق الصراع؟ وماذا عن العلاقة بين الكيان اليهودي في فلسطين والكيان الصليبي في واشنطن؟ كل هذه الأسئلة وغيرها سنحاول الإجابة عنها في الحلقة القادمة بإذن الله عزَّ وجلَّ.

يتبع إن شاء الله.

مسابقة العدد

إذا كانت الطائرات الجاسوسية بدون طيار تقتل في المتوسط شخصين يومياً من المجاهدين وأهل القبائل، وكان عدد المجاهدين والاستشهاديين وأنصارهم يتجاور المائة ألف على أقل تقدير، فكم عقداً من الزمان تحتاج الولايات المتحدة للقضاء عليهم؟

وإذا كان كل شهيد يقتل بهذه الغارات يندفع العشرات من أهله وقبيلته والعرق البشتوني لحمل السلاح للأخذ بثأره من القوات الصليبية المحتلة في أفغانستان والانتقام من الحكومة الباكستانية العميلة، فكم سنة ضوئية تحتاجها الولايات المتحدة لتعلن بعدها نعم لقد استطعنا "Yes We could"؟

وكم تقدر عدد السنوات التي ستظل فيها الدولة المارقة متماسكة كـ"ولايات متحدة" قبل أن تتحلل وتتفكك كـ"الاتحاد السوفيتي" المقبور؟

لقاء مع الأخ أبي دجانة الخراساني

كاتب المنتديات الجهادية المعروف والوافد الجديد على أرض خراسان

يسر إخوانكم في مجلة طلائع خراسان أن يقدموا لكم هذا اللقاء مع الأخ الفاضل أبي دجانة الخراساني حفظه الله.

طلائع خراسان: أبو دجانة شخصية عرفت بالمقالات والمشاركات التي تنشر على المنتديات الجهادية في الشبكة العنكبوتية، ونريد أن نعرف القارئ الكريم عليه أكثر، فمن هو؟

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على المصطفى، بادئ ذي بدء أود أن أشكر إخواني في "طلائع خراسان" لإتاحة الفرصة لي لأتواصل مع أحبتي هنا وعلى شبكة الإنترنت، فجزاهم الله خيراً عنا وعن المسلمين.

أخوكم الصغير ينحدر من شمال جزيرة العرب "فك الله أسرها"، ومضى من عمري ما يزيد قليلاً عن الثلاثين سنة، وأنا متزوج ولدي طفلتان صغيرتان ولله الحمد، واسمح لي بالاكتفاء بهذا القدر.

الطلائع: وصدق الفأل الحسن، وأصبح أبو دجانة الخراساني في خراسان فعلاً، والنفير إلى أرض الجهاد نعمة ربانية وفضل عظيم، فما الذي أثر عليك ودفعك لحمل سلاحك على هذه الأرض؟

الحمد لله على هذه النعمة، وما رزقني الله نعمة بعد الإسلام أحب إلي منها.

بالنسبة لسؤالك أخي الحبيب فللإجابة شقان أو بعدان، الأول شخصي يتعلق بحب الجهاد والشهادة، والثاني عام يتعلق بحال الأمة الإسلامية.

فيما يتعلق بالشق الأول فلقد جُبلت على حب الجهاد والشهادة منذ صغري، ولقد كنت أستمع إلى القرآن الكريم خاشعاً ومتمنياً نيل شرف الجهاد والشهادة عندما أكبر ويشتد عودي، وكنت أتساءل هل سأبقى محباً للجهاد وطالباً للشهادة عندما أصير رجلاً أم أنني سأصبح مثل من حولي ممن يعتبرون الجهاد فكراً خيالياً وضرباً من الجنون "عافانا الله"؟.

نما معي هذا الحب وإن كان قد تعرض لنكسات في مراحل حياتي المختلفة، هذا الحب لمن لا يعرفه يكدّر على القاعد حياته ويفسد عليه ملذاته، ولا يفهم كلماتي هذه إلا مبتلى به.

عندما تتفكر في الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الجهاد وفضله وتطلق العنان لخيالك ليحلق فيما أعده الله للشهداء تزهد نفسك في كل ما سواه، وتصبح البيوت الفخمة والسيارات الفارهة وكل زينة

الدنيا أحقر في نظرك من تلك التمرات التي ألقاها عمير بن الحُمام –رضي الله عنه– من قرنه قائلاً: ''لإن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة''، ثم قاتل المشركين حتى قُتل.

إذا دخل حب الجهاد قلب رجل فلن يدعه وإن أراد هو ذلك، وإن حاول النسيان أو التناسي فستتفاقم الأعراض وتستعصي الحالة، وسيجد نفسه محاصراً بكل ما يذكّره به، خبر عارض يسمعه في المذياع عن عملية استشهادية في الموصل سيذكره بالجهاد، جملة قصيرة في الشريط الإخباري تتحدث عن كلمة جديدة للشيخ أسامة ستذكره به، بل سيذكره ما يرى من قصور فارهة بمنازل الشهداء في الفردوس الأعلى، وإذا أعجبه حسن زوجته فسيخطر على باله تلك الحسناوات اللاتي ينتظرن أزواجهن من الشهداء على فرش من حرير، كل متعة ناقصة في دار الفناء ستذكره بأختها الكاملة في دار البقاء مما أعده الله لعباده الشهداء. وقديماً قالوا: ''ومن الحب ما قتل''، ولا أراها حقاً إلا في حب الجهاد، فهذا الحب إما أن يقتلك حسرة إن اخترت القعود، أو يقتلك شهيداً في سبيل الله إن اخترت النفير، وما على المرء إلا أن يختار بين هاتين القتلتين.

أما البعد العام من إجابة السؤال فهو ما يتعلق بما تعانيه الأمة الإسلامية من نكبات ومآسي تستنفذ الدموع المخدرة وتدمي القلوب المحجرة، تلك الصور والقصص التي تتناهى إلى أبصارنا وأسماعنا ولا يمكن لحجرٍ فضلاً عن بشرٍ أن يتحملها، فما بالك بإنسان مسلم سمّاه أبواه باسم رجل؟؟

مشهد الكاسيات العاريات من بني صهيون وهن يشاهدن بالمنظار مدينة غزة وهي تُحرق بمن فيها وكأنهن يشاهدن فيلما كوميديا أو يتابعن ظاهرة طبيعية..!

صور جثث الأطفال هناك وقد رصّت في أروقة المستشفيات وارتسمت على محياهم براءة طاهرة ما دنستها بشاعة الجريمة حتى ما عدنا نميز إن كانوا نياماً أو قتلى!..، وقبل ذلك ما حدث في المسجد الأحمر وكيف تم قتل طالبات الشيخ عبد الرشيد غازي رحمه الله بعد أن اخترن العزيمة على الرخصة، فلم يتركن مجالاً لمسلم يأنس في نفسه شيئاً من الرجولة ليبقى متردداً بين عار القعود ومجد النفير.

هل بعد كل هذا يريد الناس منّا أن نحمل باقات الزهور ونلبس ملابس العيد!، لا والله لن نحمل إلا السلاح ولن نلبس إلا الجُعب العسكرية والأحزمة الناسفة (**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا** ...).

الطلائع: يتغير حال الإنسان حينما ينفض عنه غبار القعود ويلحق بالأسود في ساحات الوغى، فما الذي تغير فيك بعد أن وطئت أرض الجهاد والإعداد ؟

بل قل ما الذي لم يتغير فيّ؟، فلقد ولدت هنا من جديد وبدأت أحسب عمري منذ أن رأيت أول رجل يحمل السلاح، بالرغم من كل الصعاب التي نعيشها كمجاهدين إلا أنني أشعر بسعادة وكأنني طفل بريء يلهو مع صديقه، أصبحت خفيفاً من الهموم كفراشة تتنقل بين أزهار الحديقة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: (فإن الجهاد باب من أبواب الجنة عظيم ينجي الله به من الهم والغم).

لقد تحولت نقمتي على أهل التخذيل والإرجاء إلى شفقة، وأصبح دعائي عليهم دعاءً لهم بالهداية، فلقد

حرمهم الله فضلاً عظيماً، ووالله لو أتوا إلى هنا لبكوا على خطاياهم، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا.

إن معية الله التي عشناها في طريقنا إلى المجاهدين لخير دليل على سلامة منهجهم، وما نراه هنا من إشارات ربانية ولطائف روحانية تبشرنا بذلك أيضاً، وأنا الآن أتنعم بهذه الطمأنينة وأتلذذ بهذه السكينة، ولا يشغل بالنا إلا أمرين: الثبات والإخلاص، نسأل الله المعونة.

الطلائع: (اهجهم وروح القدس معك) وغيره من الأحاديث الشريفة التي تحث على الجهاد باللسان وأثره الكبير في نصرة الإسلام، فلماذا لم يكتف أبو دجانة بهذا النوع من الجهاد وهو الذي كان دوره فعالاً في هذا المجال ؟

كيف أحرض الناس على الجهاد وأنا قاعد مع الخوالف؟، كيف أبيعهم المسك ورائحتي منتنة؟، كيف أكون كفتيلة تحرق نفسها ليستضيء بها غيرها ؟ هل يقبل بهذا عاقل لأقبله ؟

كيف أفر من قوله تعالى (﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾).

جهاد اللسان مطلوب، وجهاد المال مطلوب، ولكنهما لا يغنيان بحال عن الجهاد بالنفس، وليسا بحالٍ بديلاً عن فريضة النفير، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا استنفرتم فانفروا)، وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي صححه الحاكم (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) فجاء حرف العطف هنا ليفيد المشاركة في الحكم وهو الوجوب ولم يقل صلى الله عليه وسلم (بأموالكم أو أنفسكم أو ألسنتكم) على سبيل التخيير، بل لقد قدّم الله تعالى ذكر الأمر بالقتال على التحريض عليه في قوله تعالى (﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾)، ثم إن الجهاد في سبيل الله بالنفس هو محض خير، ولو كان مباحاً لحق لي أن أضرب آباط الإبل في طلبه لما فيه من الأجر فكيف يكون حالي وقد تعين ؟.أضف إلى ذلك أن نفير المسلم في سبيل الله لا يمنعهم من جهادهم باللسان بل يقوّيه ويغذّيه ولا أبلغ من قول يصدقه عمل، فإن عاش ذلك المسلم كان ممن صدّق عمله قوله وإن قتل في سبيل الله فإنه يمنح كلماته الخلود لتبقى معالمَ في الطريق تهدي إلى الجهاد بإذن الله.

الطلائع: إذن وبعد هذا، بماذا تنصح كتّاب المنتديات وماذا تقول لهم ؟

أنصحهم بأن ينفروا في سبيل الله وأن لا يصدنهم الشيطان عن الجهاد بحججه الواهية، وليعلموا أن الجبابرة قد طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد، فإن كنت تنال منهم بكلمة تكتبها بين ظهرانيهم، فهم ينالون من دينك بما هو أبلغ من الكلمة، وذلك من خلال المفاسد والفتن التي ينشرونها في الطرقات وفي الجامعات وفي وسائل الإعلام المشاهدة والمسموعة والمقروءة، ولربما طال على أحدنا الأمل فيصبح من اللاهين الغافلين نسأل الله العافية.

ووالله لو لم يكن في النفير في سبيل الله فائدة إلا العيش في أرض لا ترى فيها المعاصي والمنكرات لكفته..فتأملوا!.

الطلائع: بما أننا تطرقنا في سؤالنا السابق إلى موضوع المنتديات، فنود أن نسأل: كيف بدأ أبو دجانة الخراساني مشواره هذا وما الذي شد من عزيمته؟

والله لقد نكأت جرحي وألبت مواجعي وأثرت شجوني، فلقد تركت ورائي في المنتديات إخوة أحب إلي من بعض أهلي، نسأل الله أن يجمعنا بهم في الفردوس الأعلى.

بالنسبة لمسيرتي: ففي الحسبة الغراء كان مسقط رأسي، كتبت مرة موضوعاً عن حتمية فشل خطة بغداد بالقياس إلى معركة الفلوجة، وسقت على ذلك الأدلة من الواقع، فقام أحد المشرفين هناك بتثبيت الموضوع، فشجعني ذلك على الاستمرار أيما تشجيع، والحق يقال أن المشرفين هناك كانوا يبذلون جهوداً جبارة في متابعة المشاركات والعناية بها، ويختارون منها أفيدها كما يختار من الثمار أطايبها، وهذا ما أهّل منتدى الحسبة ليكون مدرسة تخرج كُتاباً في مرتبة الخبراء كعبد الرحمن الفقير ويمان مخضب وطارق أبو زياد وغيرهم ممن يضيق المقام عن حصرهم.

بقيت عضواً عادياً هناك إلى أن اقترح عليّ الإخوة الانضمام إلى قافلة الإشراف في الحسبة، والحمد لله أنني قبلت ذلك فلقد مكنني ذلك من التعرف على إخوة في الله لم أر مثلهم في المنتديات، لا يكاد يعرفهم أحد، ولا يشكرهم أحد، ولكنهم يحتسبون أجرهم على الله، كم كنت أستصغر نفسي وأزدري حالي بجانبهم، كنت أستغرب كيف زكوا أنفسهم وتحلوا بأخلاق المجاهدين وصفاتهم دون أن يكونوا في جبهات القتال؟ -نحسبهم كذلك والله حسيبهم-، عندما ألتقي بمجاهد هنا يعرف عن المنتديات أسارع بسؤاله عن معارفه في الحسبة لعله يكون ممن أحببناهم في الله من المشرفين أو الأعضاء فأضمه إلى صدري ضمة الأخ لأخيه المشتاق.

الطلائع: بمن تأثرت من كتّاب المنتديات؟

لويس عطية الله، محب الرسول، وغيرهم كثر.

الطلائع: الآن وأنت بين المجاهدين، كيف وجدت إخوانك في الدين والجهاد؟

لله درهم هؤلاء الغرباء وعلى الله أجرهم، قد كنت أكتب عنهم ولمّا وصلت إليهم سكت القلم، في كل يوم يمضي أتكلم فيه أقل من اليوم الذي قبله، فلقد تعلمت منهم أن الصمت أوضح من الكلام، هؤلاء قوم نصفهم في السماء يستبشر ونصفهم الآخر على الأرض ينتظر، وما بدلوا تبديلا.

استغرب منهم... لماذا لا يبكون أمامي عندما يذكرون إخوانهم الشهداء وليس عندهم قانون يمنع البكاء ؟إذا ذَكر اسم شهيد أمامهم ممن عرفوا تجد الدمع يتجمد في مآقيهم وكأنه قطرة ندى على ثغر وردة شامية، تجد البكاء في نظراتهم الشاردة أبلغ من العويل، أحياناً أضطر للصمت رأفة بحالهم بالرغم مما ينتابني من رغبة في الاستماع إلى سير الأبطال، إذا رأيت جمل أحدهم تتباعد والإيقاع يبطؤ والأنفاس تفشل في إطفاء نار الشوق في صدره، أتركه وأذهب..لأني إن لم أفعل فهو من سيفعل ذلك، ولذلك تجد معظم قصصهم ناقصة، حائرة تبحث عن نهاية.

لقد كان رجلاً هنا اسمه "عبدالله عزام الأزدي" -قُتل قبل أشهر نسأل الله أن يتقبله-، ولكنه يأبى الرحيل من بينهم، فلقد ترك في كل واحد منهم بعضاً منه، عندما أسمع عن أخلاقه وجهاده وتواضعه أغبط كل من رآه، وكل من بكاه، وأتمنى لو أنني نفرت قبل مقتله لألقاه.

عندما تستمع إلى أخ له سابقة جهاد وهو يتحدث عن قصص الجهاد، فيقول: كان معي فلان رحمه الله وفلان تقبله الله وأبو فلان جمعنا الله به في الفردوس الأعلى، فتشعر أنه لا يتكلم عن قصة حصلت قبل عامين فقط بل وكأنه يقرأ عن غزوة بدر أو معركة القادسية، وكذلك تجده عدوّاً لكل ثانية ودقيقة يقضيها على ظهر الأرض بعيداً عن إخوانه إلا ما كان في طاعة الله، أسأل الله أن يبلغهم مبتغاهم.

أما عن أخلاق الإخوة فحدث ولا حرج، أحد الإخوة المجاهدين كان يصرفني عن غسل الأطباق بحجة أنني لا أحسن تنظيفها، ثم يقوم هو بغسلها، وإذا رآني أستعد للطبخ صرفني عن ذلك بحجة أنني لا أتقن الطبخ ثم يطبخ هو لنا، علمت أنه يفعل ذلك ليستأثر بأجر خدمة إخوانه، فهذه هي أنانيتهم هنا!..، أستيقظ أحيانا في الصباح الباكر لأجده منهمك في التنظيف والإعداد دون أن يراه أحد.

أحد الإخوة كان أميراً علينا، وإذا ما اجتمعنا على طبق وجدته يُفسّخ لنا اللحم ويضعه أمامنا حتى لا يبقى له إلا العظم والشحم، فقررت أن لا أجلس معه على طبق واحد حتى لا آكل طعامه.

التقيت بأخ أعجمي جديد على الساحة ولم أجد أصدق لهجة منه، لا يتقن العربية إلا قليلاً ولكنه يجاهد نفسه على قراءة كتب الدين العربية، كنت أتمشى أمامه يوماً وهو يقرأ أحد الكتب فناداني من بعيد فلما جئته قال لي ووجهه يتلألأ فرحاً وسروراً: اقرأ يا أخي هذا الحديث عن فضل الجهاد! ففعلت، فنظر إليّ مبتسماً ثم سأل الله الشهادة، ثم يمر وقت قصير فيعود ليناديني: تعال يا أخي! ووجهه كأنه ليلة البدر ثم يقرأ عليّ حديثاً آخر أعجبه عن فضل الجهاد..ثم يسأل الله الشهادة.

كلما نظرت إلى وجهه المشرق تساءلت في نفسي: أين أنتم يا من تسمون أنفسكم بالعلامة السلفي والجهبذ الأثري؟! أين أنتم يا علماء الأمة الناطقين بلغة الضاد من هذا الرجل الذي عَلِم قليلاً ولكنه جاء إلى هنا مصدقاً بكلمات ربه ورسله، يطلب الموت في سبيل الله، والله إنه حجة عليكم يا من تجلسون في بيوتكم ما بين معتذر ومخذِّل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الطلائع: ختاما.. هل من كلمة توجهها للأسود المرابطين على ثغر الإعلام الجهادي ؟

أقول لأحبتي المرابطين على ثغر الإعلام الجهادي أن هبوا لنصرة إخوانكم المجاهدين بأقلامكم وأموالكم وأوقاتكم، وانفضوا عنكم غبار التراخي والفتور، فوالله إن الحال لا تسر، وكلاب الهاجانا -اليهودية- قد أثخنوا فينا وأغلقوا المنتديات وأتلفوا روابط الإصدارات الجهادية، فهل يكونون لباطلهم أجلد منكم لحقكم؟ ولو علمتم مكانكم عند إخوانكم المجاهدين لما غمض لكم جفن ولا طاب لكم عيش قبل أن تقروا أعينهم بعودة الحسبة والإخلاص والبراق، فهل أنتم فاعلون وقد علمتم؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أمريكا والحرب الدعائية
صناعة الموت " مقتل الزرقاوي "

كتبها : أبو عبيدة المقدسي

أجمع أهل السياسة والحرب قديماً وحديثاً على أهمية الدور الذي تلعبه الحرب المعنوية والدعائية في الخصم بغض النظر عن صدق أو كذب ما يتم نشره وبثه للتأثير على الرأي الآخر سلباً أو إيجاباً.
والذي مارس الحرب واطلع على فنونها يدرك أكثر من غيره أهمية الروح المعنوية في القتال، فالمقاتل تحركه وتدفعه للقتال إرادته وليس كما يظن البعض عتاده وذخيرته، والنصر في حقيقته إنما هو انتصار المبادئ التي يحملها الشخص وليس الانتصار في معركة هنا أو هناك، وما دام المقاتل يقاتل ولم يتنازل عن مبادئه وإن هُزم في معركة أو اثنتين فهو على طريق النصر.
بل أكاد أجزم أن الحرب في حقيقتها إنما هي حرب إرادات والتاريخ مليء بالشواهد على ذلك، ويكفي أن تعلم أن بضعة عشر رجلاً من المسلمين في الأندلس اخترقوا برشلونة ووصلوا قمة فراكشيا على سواحل فرنسا وشيدوا حصناً فوقها ، ومن ثم سيطروا على المعابر الرئيسة بين فرنسا وإيطاليا، وخاصة معبر برنار الشهير، ثم استطاعوا أن يسيطروا على أجزاء من أوروبا، وبقيت تدفع لهم أوروبا الجزية لمدة تسعين عاماً، ومن ثم تكالبت عليهم وهزمتهم ولم يكن عدد المسلمين في المعركة يتجاوز الألف وخمسمائة مجاهد.
والذي أكرمه الله بقتال العدو الصليبي في أفغانستان يعلم كيف تلاعبت الـ .BBC في مجريات الحرب وقلبت الحقائق على أرض الواقع لتكون بمكرها إحدى العوامل الأساسية في انحيازات مجاهدي الإمارة الإسلامية من مناطق الشمال الأفغاني والله عليم بالظالمين.
ولأهمية الحرب المعنوية فقد استخدمها القائد القدوة صلى الله عليه وسلم في كثير من حروبه، فقد ذكر أصحاب السير في سيرهم أنه قال لنعيم بن مسعود الغطفاني في غزوة الأحزاب وكان عشيراً لبني قريظة: (إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة).
وقد استعملها صلى الله عليه وسلم على نطاق أوسع ووظفها أيما توظيف في فتح مكة، ومن ذلك أمره صلى الله عليه وسلم عمه العباس أن يحبس أبا سفيان بن حرب بمضيق الوادي الى خَطْمِ الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها. ومن ذلك أمره لصحابته أن يوقدوا عشرة آلاف نار حتى يبثوا الرعب في قلوب قريش. وعلى إثره سار أصحابه الكرام ومن بعدهم وكتب السير والتاريخ ملأى بقصصهم.ولم يع أهميتها فقط المسلمون بل استعملتها الأمم الكافرة وعلى نطاق واسع وفي هذا الصدد يقول القائد الفرنسي الشهير نابليون بونابرت: (في الحرب تعادل المعنويات والرأي ما هو أكثر من نصف المعركة)، ويقول

الجنرال مارشال: (إن الحرب الحديثة أصبحت في حاجة إلى مزيد من المطالب المعنوية كحاجتها الى المطالب المادية). ويقول (إتيان هابر) في مقال له في صحيفة (يديعوت أحرونوت) الإسرائيلية: (إن جيش الحفاة في فيتنام الشمالية قد هزم الأمريكيين المسلحين بأحدث الوسائل القتالية.. ويكمن السر في أن الروح هي التي دفعت المقاتلين وقادتهم إلى الانتصار.. الروح تعني المعنويات والتصميم والوعي بعدالة النهج والإحساس بعدم وجود خيار آخر).

ولا أخفي على القارئ الكريم أن الذي دفعني لكتابة هذه الورقات هو تلك الحملة الإعلامية الدعائية الشرسة التي تشنها الصليبية الغربية بقيادة الشيطان الأكبر الولايات المتحدة الأمريكية، التي أنشأت بدورها مركز التضليل الإعلامي ومقره البنتاغون بقصد توهين عزائم المسلمين، والنيل من همم المجاهدين، وزرع اليأس في قلوب العاملين لهذا الدين، وقتل الروح المعنوية، وهزيمة الإرادة القتالية لمن يتطلع لنصرة الإسلام والمسلمين.

فقد دأبت وسائل الإعلام الأمريكية ومن يدور في فلكها بتوجيه استخباري محكم ومبرمج ببث دعاياتها المغرضة ضد الجهاد والمجاهدين وذلك عن طريق بوقها الإعلامي المتمثل بقناة (العربية)، هذه القناة سيئة الذكر التي تطالعنا بين الفينة والأخرى ببث البرامج المترجمة إلى العربية بقصد تضليل المسلمين وخداعهم والتمويه عليهم، وفي هذا الصدد بثت هذه القناة برنامجين مترجمين الأول تحت عنوان (مطاردة الزرقاوي)، والثاني يحكي اختراق المخابرات الكندية لإحدى المجموعات الجهادية عن طريق عميل سري من عملائها (مبين شيخ)، يدعي أنه رجل دين مسلم، استطاع خداع مجموعة من الشباب المجاهد في تلك البلاد ومن ثَم الإيقاع بهم في أيدي الاستخبارات الكندية بعد وثوقهم به وإفشاء سرهم له بل مشاركته لهم الإعداد شبه العسكري وتدريبهم، فك الله أسرهم.

والهدف من هذا الفيلم الدعائي ولاشك عندي هو الترويج لقدرة الاستخبارات النصرانية، والأهم من ذلك هو تثبيط عزائم المجاهدين والنيل من معنوياتهم، وقتل إرادة القتال عندهم، وزرع الرعب والخوف في قلوبهم حتى لا يُقدم غيرهم على مجرد التفكير في العمل الجهادي، بالإضافة إلى تشكيك المسلمين بعضهم ببعض، ولاشك أن هذا الخداع الاستخباري قد ينطلي على كثير من أبناء المسلمين الراغبين في العمل الجهادي والقيام بفريضة الجهاد المتعينة في هذا الزمان، وأبشر المسلمين في هذا الصدد أن لا يروعهم ما يبثه الإعلام الغربي النصراني وأبواقه المتعربة، فما هي والله سوى إرادة جازمة ونية صادقة وتوكل على الله، ثم الأخذ بالأسباب الممكنة، ونرى حادي عشر جديد والله الموفق.

وأما بالنسبة لفيلم (مطاردة الزرقاوي) وهو لبُّ الموضوع، فقد أظهر الإعلام الأمريكي وأجهزة استخبارات بلاده – هذا إن لم يكن الفيلم كله منتجاً استخبارياً– قدرة الاستخبارت الأمريكية على المتابعة والمراقبة والرصد سواء كان ذلك عن طريق الأقمار الصناعية، أو عن طريق الأجهزة العاملة على الأرض، وبطريقة هوليوودية استطاعت أن ترسخ في أذهان المشاهدين أن الشيخ أبا مصعب الزرقاوي –رحمه الله– كان تحت سمع وأنظار أجهزة الرصد الأمريكية، وأنه أفلت عدة مرات من قبضتها، وفي المرة الأخيرة وحتى لا يفلت الهدف الثمين كما هو الحال في المرات السابقة، لم يكن لديها خيار سوى مئات الكيلو

غرامات من المتفجرات لتسدل الستار على الزرقاوي .
ولا يخفى على عاقل أن هذا المكر الاستخباري وتلك الإيحاءات لاشك قد تنطلي على الكثيرين من الناس ممن لم يبصروا مكر القوم، ومن ثَم تظهر الولايات المتحدة الأمريكية وأجهزة أمنها بهذه الدعاية أمامهم بصورة المنتصر، والقادر على الوصول إلى هدفه في الوقت الذي شاء، وفي نفس الوقت تستر إخفاقها المتكرر والمتواصل في الوصول إلى الشيخ أبي مصعب طوال السنوات الأربع التي سبقت الاغتيال. زد على هذا وذاك ما في هذا العمل من رفع لمعنويات جنودها وأجهزتها وحتى لمواطنيها وكسب لثقتهم، ومقابل ذلك كسر لإرادات المسلمين وتحطيم لروحهم المعنوية، وإقناعهم بالواقع المرير الذي يحيون، فلا تنهض الهمم لتعلو على الواقع وتتحرر من قيوده .
وحتى لا يغتر المسلمون بكذبهم، وتنطلي عليهم هذه الحيل الشيطانية أطرح بعضاً من الأسئلة فيها بعون الله ما يُفند مزاعم القوم الكافرين ويرد كيدهم في نحرهم، ويعلموا أن جند الرحمن لهم بالمرصاد، وعلى الله وحده الاتكال.
أولاً: لماذا تأخر وصول القوات الأمريكية لموقع العملية لما يقرب من الساعة، مع العلم أن المستهدف هو الشيخ الزرقاوي بشخصه رحمه الله وليس سواه !؟.
ثانياً: لماذا لم يستخدم الجيش الأمريكي وأجهزة أمنه الغازات المنومة التي تمتلئ بها خزاناته، على غرار ما فعلوا مع صدام حسين، أيا ترى عجزوا عن ذلك مع ما في ذلك من النصر الذي لا يخفى على أحد أهميته لو تم أسر الشيخ رحمه الله!؟.
ثالثاً: أين هي تلك الأطواق البشرية من الجنود التي كان يجب أن تكون في مثل هذه العمليات الخاصة والمعقدة، فالهدف هو الزرقاوي رحمه الله كما أسلفنا، وهذا ولاشك يعرفه من له أدنى معرفة في العلوم العسكرية وخاصة في نطاق العمليات الخاصة التي تكون على الأرض التي يسيطر عليها المهاجم.
رابعاً: أين كانت (الدلتا فورس) و (أصحاب القبعات الخضر) و (الفرقة المحمولة جواً ١٠١) والقوات الخاصة وغير ذلك من المسميات المتخصصة في تنفيذ العمليات الخاصة والمعقدة، أما كان بوسع تلك القوات على اختلاف مسمياتها أن تشارك في العملية وترحل به حياً — وهذا محال لمن يعرف الشيخ رحمه الله- لما في ذلك من مكاسب لا تخفى على عارف!؟. أيا ترى كانت كل تلك المسميات في إجازة صيفية وراحة استجمام، حتى لا نرى سوى قوات المارينز بلباسها المعروف تسرح وتمرح بين الركام، والمعروف أن قوات المارينز ليس لها التدخل في مثل هذا النوع من العمليات الاستخبارية الخاصة والمعقدة، ولاشك أن هذا النوع من العمل الخاص هو من اختصاص القوات الخاصة المدربة تدريباً عالياً؟!.
وبعد هذا الذي ذكرناه يتضح كذب ودجل أجهزة الاستخبارات الأمريكية وكذب إعلامهم المسيس والموجه، ويتبين أن الهدف من وراء ما قد تم ترويجه في هذا الفيلم وفي سواه من الأفلام والبرامج هو ما سبق ذكره، وأن المنزل المستهدف بالقصف -وكان الشيخ رحمه الله فيه- لم يكن بحوزتهم أدنى معرفة بهوية قاطنيه سوى أنهم مجاهدون، والله وحده الكفيل برد كيدهم في نحرهم، ونسأل الله أن يتقبل شيخنا وإخوانه في الشهداء ويلحقنا بهم غير خزايا و لا مفتونين ولا مبدلين. والحمد لله رب العالمين.

مبادئ قتالية لدى الطائفة المنصورة الجهادية

بقلم الشيخ: عبد الله سعيد

(2 من 2)

الحمد لله وحده، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على محمد عبدِ الله ورسوله وصفيه وخليله من خلقه، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، ومن سار على سنته، واقتفى أثره، أما بعد:

فقد توقفنا في الحلقة السابقة عند المبدأ العاشر من المبادئ القتالية للطائفة المجاهدة ونكمل في هذه الحلقة ما فتح الله به علينا، فنقول وبالله التوفيق:

الحادي عشر: وحدة القيادة

من الضروري أن تكون كل القيادات تحت راية واحدة وتحت قائد واحد، مادام أن القائد كان مختاراً من بين أقرانه لبعد نظره، وصواب حكمه، وحسن تصرفاته، وسلامة بصيرته، ورجاحة عقله.

وبالطبع هذا لا يعني انفراد القائد باتخاذ القرار من غير مشاورة أهل الرأي والخبرة والمعرفة كما هي سنة النبي صلى الله عليه وسلم الذي أمره ربه سبحانه وتعالى بذلك فقال: {وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾} (آل عمران: ١٥٩).

والتشتت والتفرق والاختلاف نهينا عنه شرعا وضرره باد علينا واقعاً وعياناً فهو من أسباب الفشل الرئيسة، ومن أسباب عدم انتصار المسلمين، قال الله تعالى: {وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾} (الأنفال: ٤٦).

الثاني عشر: تجزئة العمل وتقسيمه إلى مراحل

من المعلوم أن المراحل التي يمر بها العمل الجهادي ليست واحدة، بل هي خاضعة لأوضاع متعددة، وأحداث متقلبة، وظروف متغيرة، فلابد أن يوضع ذلك في الحسبان، وتعطى كل مرحلة ما يناسبها ويلائمها وغنيٌ عن القول أن هذا يتطلب معرفة واسعة واطلاعاً دقيقاً على مجريات الأمور، ومعرفة تامة بقدرات المجاهدين وما لديهم من إمكانات، وما يقابلها من إمكانات الأعداء، وخططه وإستراتيجيته التي يسير عليها، وبهذا يكون العمل المناسب في المكان والزمان المناسبين بالإمكانات المتاحة والموظفة توظيفاً صحيحاً حسب ما يمليه الواقع وتقدره حكمة القيادة.

الثالث عشر: المحافظة على أمن المجاهدين (قاتل لتبقى حياً)

والمقصود به تأمين الجيش، وقياداته، ومراكزه، ومعسكراته، وآلياته وعتاده، وطرق إمداده وحركته، بحسب طبيعة المعركة والأرض التي يقوم عليها والوضع الذي يتحرك فيه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم -وهو المحفوظ من ربه-: (من يحرسنا الليلة).

وذلك كله كي تحفظ جنودك من هجمات العدو المفاجأة، باتخاذ الإجراءات الأمنية اللازمة التي تفوت على العدو فرصة النيل منك على حين غرة، ومن هنا شرعت صلاة الخوف وكيّفت هيئتها على صفات شتى حتى توافق تأمين الجيش وتفوت فرصة الانقضاض عليه من قبل العدو حتى لو كانوا مشغولين بأهم عبادة وأعظمها، قال الله تعالى: {وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا } (النساء: ١٠٢).

والمحافظة على الأفراد من أهم الأمور التي ينبغي أن يعتني بها قادة المجاهدين وهم يخوضون حرب عصابات وخاصة في مراحل القتال الأولى، وليكن الشعار المرفوع (قاتل لتبقى حياً) ، فبقاء المجاهدين وقادتهم أحياء هو نصر في حد ذاته.

الرابع عشر: التخطيط وتنوع الخطط

التخطيط هو وضع الخطط الرئيسة والاحتياطية الكفيلة بتحقيق النصر وعدم ترك الأمور للصدف ، مع الأخذ بعين الاعتبار المتغيرات المستقبلة المتوقعة.

ووضع الخطط ينبغي أن يتم بمشورة قادة المجموعات القتالية وأمراء الكتائب، ويتم بعد الترصد المتقن، وجمع كل المعلومات الاستخباراتية عن الهدف، واستكمال العدد والعتاد المطلوب لتنفيذ الهجوم من جنود وسلاح وذخيرة وتموين وتجهيز ممرات الهجوم والإمداد والإنسحاب وطرق إخلاء الجرحى والقتلى، وتحديد عمل كل مجموعة وما عليها فعله في الوقت المحدد لها، وعند التخطيط للعمليات ينبغي أن تتنوع الخطط فيها ولا تسلك طريقة واحدة في كل الهجمات، وإنما تنوع الخطط الهجومية كلما أمكن ذلك، لأن تكرار الطريقة والتزام نهج واحد فيها يجعل العدو يحدد فكرك ويضبط تحركاتك فيتخذ احتياطاته ويشدد إجراءاته المضادة مما يقود إلى فشل العملية أو العمليات التي تقودها أو تخوضها على هذه الكيفية.

وعليه فيتحتم أن تتوفر لديك مرونة كافية في وضع الخطط وتنوعها، وعدم سلوك كيفية واحدة في تنفيذها حتى ولو كانت العملية السابقة ناجحة، وهنا تظهر عبقرية القيادة وحسن إدارتها للمعركة، وهذا مأخوذ من مبدأ أن الحرب خدعة.

وهذه النقطة -تنوع الخطط- تختلف عن النقطة التي مرت سابقاً، فتقسيم العمل لمراحل من الأمور المهمة بحيث تبرز فيها ملامح كل مرحلة من المراحل التي تتعلق بالخط العام الكبير الذي يُسلك لبلوغ الهدف، وأما تنوع الخطط فهو داخلٌ تحت تلك المراحل، فقد تقتضي المرحلة تكثيف العمليات وعليه توضع الخطط المناسبة والكفيلة بتنفيذ هذه المرحلة وتنشيطها وهكذا.

الخامس عشر: الميل إلى اليسر والسهولة

وذلك بأن تكون خطط الحرب والقتال خططاً سهلة الفهم وبسيطة التنفيذ وميسرة التطبيق، حتى يكون كل جندي مستوعباً للمطلوب منه، مدركاً للمجال الذي يتحرك فيه، عارفاً بالمهام التي أوكلت إليه، وهذا يتطلب من القائد إذا توافرت له عدة خطط حربية للمعركة أن يختار أيسرها فهماً للجنود، وأبسطها تطبيقاً في أرض المعركة، وبذلك تعطى الفرصة لتنفيذ المهام الموكلة للجنود بنجاح كبير، سواء كانت هذه المهام معدة من قبل، أم متغيرة وفقا للمواقف المتجددة للقتال، فكلما اتسمت الخطة بالبساطة واليسر والسهولة، قلت الأخطاء التي لابد أن تصاحب كل معركة.

ومما يدخل في هذا المجال وضوح الأوامر الصادرة من قبل القيادة لجنودها حتى لا يحصل الارتباك وكثرة الاجتهادات، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد لأصحاب الجبل: (احموا ظهورنا فلا تبرحوا مكانكم، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا، احموا ظهورنا).

فتبسيط الأمر العسكري الصادر عن القيادة يجعل المقاتلين يؤدون مهامهم على الوجه المطلوب منهم وبكل دقة وإتقان، وهو مما يعين على اجتناب الوقوع في الخطأ أو تقليله.

وفي المقابل كلما كانت الخطط معقدة وصعبة التنفيذ، والأوامر متداخلة وفضفاضة وبصيغ غير محددة ومحتملة، فستكون الخسارة في المعركة أكثر، لأن حالة الحرب تخالف حالة الراحة والسعة والاطمئنان حيث تكون النفوس في المعركة متوترة، والأعصاب مشدودة، والأبصار زائغة، والقلوب طائشة، والاضطراب هو المسيطر في مثل هذه المواقف، ومن ثَم فإن مساحة التفكير والتأمل لدى الجنود ضيقة جداً، وليست هذه المشاكل التي يواجهها الجنود في أرض المعركة بالأمر اليسير لكي يضيف إليها القائد خطة معقدة، فاليسر والسهولة ينبغي التركيز عليه في الرخاء عند وضع الخطط.

السادس عشر: امتلاك زمام المبادرة

وأقصد به المبادأة بشن الهجوم (الالتفاف، والتطويق، والاقتحام، كلاً حسب الحاجة) والسرعة في تنفيذه مع السرية الكاملة، وألا تكون سمة القتال العامة ردة فعل أو صد هجوم، بل لابد أن يقصد العدو في مراكزه وثكناته وطرق إمداده، فما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا، فكلما كانت المبادرة بالهجوم منك كنت أنجح في كسب المعركة، وأقدر على إنزال الهزيمة بعدوك، قال الله تعالى: { وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ } (النساء: ١٠٤)

قال ابن عاشور رحمه الله: (والمراد به هنا المُبادأة بالغزو، وأن لا يتقاعسوا، حتّى يكون المشركون هم المبتدئين بالغزو... والمبادئ بالغزو له رعب في قلوب أعدائه) (التحرير والتنوير: ٤/ ٢٦).

السابع عشر: المفاجأة (المباغتة)

شن الهجوم المفاجئ من الأمور المهمة في القتال، بل هو من أهم مبادئ القتال، والمفاجأة تكون بشن الهجوم في وقت لا يتوقع العدو الهجوم فيه عليه ويقل استعداده فيه كالليل أو قبيل الفجر أو في الصباح المبكر، وهو يعتمد على وسائل متعددة كالإعلام المخادع، والتضليل بالمعلومات، وتأخير حشد القوات إلى آخر لحظة ممكنة، والمفاجأة تكون أيضاً بشن الهجوم من أماكن لا يتوقعها، وبالتمويه عن مكان الهجوم الرئيس.

وغالبا ما يؤدي استغلال عامل المفاجأة إلى إرباك العدو وانهياره معنوياً، ومن ثم يسهل القضاء عليه وإلحاق الهزيمة به في وقت وجيز وبخسائر أقل إن شاء الله، وذلك بسبب عدم قدرته على اتخاذ إجراءات مضادة وفعالة، وربما يتخذ قرارات قتالية لا تتفق مع الموقف الحادث فيؤدي به للهزيمة السريعة، وتكون المفاجأة أحياناً باستخدام أسلحة وتكتيكات لم يعهدها العدو أو باستخدام أعداد من الجنود لم يكن يتوقعها فتنهار معنوياته.

وتؤتى المفاجأة ثمارها المرجوة إذا واكبتها روح معنوية عالية للمقاتلين، واتصافهم بقدرات قتالية عالية، وإعداد السلاح المناسب لخوض المعركة، ويسبقه الاستطلاع النشط والمستمر لحركة العدو وأماكن تواجده والتحصينات التي يتخذها لنفسه، والثغرات التي يمكن أن ينفذ إليه من خلالها، ومعرفة أعداد جنوده وتسلحهم وأوقات راحتهم واسترخائهم، واتباع مبدأ السرية التامة في التحضير للهجوم، والاستعانة بالخيانة من داخل صفوفه سواء بشراء ذمم أفراد منهم أو بزرع أفراد في داخل صفوفهم.

ومن المعارك التي كان للمفاجأة دور كبير في تحقيق النصر فيها غزوة بني المصطلق، حين أغار عليهم النبي صلى الله عليه وسلم على حين غفلة منهم، ففي الحديث الصحيح (أخبرنا ابن عون قال كتبت إلى نافع فكتب إلي أن النبي صلى الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأصاب يومئذ جويرية حدثني به عبد الله بن عمر وكان في ذلك الجيش) متفق عليه.

ومن هنا جاء التحذير في القرآن من الغفلة والتهاون في أخذ الحذر كما قال تعالى: {وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً} (النساء: ١٠٢)

ومن أمثلة الحروب الحديثة التي تم إحراز نصر كبير بالمفاجأة فيها:

١- حرب الألمان ضد الفرنسيين في أثناء الحرب العالمية الثانية:

حيث عمد الألمان إلى خداع القيادة البريطانية الفرنسية المشتركة ببعض الأعمال (إعلامية وأرضية) التي تظهر أن الهجوم سيكون من ناحية شمال فرنسا، مما جعل هذه القيادة تنقل قواتها الرئيسة إلى الشمال

لصد هذا الهجوم، في حين أن الألمان حشدوا قواتهم الرئيسة في وقت سريع لبدء الهجوم الرئيس من الجنوب مع بدء مناوشات بسيطة في الشمال، وبذلك وجهوا ضربة مفاجئة للدفاعات الضعيفة في الجنوب، وحققوا نصراً باهراً وأنهوا المعركة لصالحهم.

٢- حرب إسرائيل في صيف سنة ١٩٦٧:

طبقت إسرائيل خطة مشابهة للخطة الألمانية وذلك بالتضليل الإعلامي، وباستخدام الدبلوماسية في التضليل أيضاً والإيحاء بأن الحرب ستنهى سلمياً، وبالإجراءات التي اتخذتها في الميدان بأن موهت على القوات المصرية (الفرقة الرابعة المدرعة) أن جهة الهجوم الرئيس سيكون من ناحية جنوب سيناء بعيداً عن خطة الهجوم الرئيس الذي اختارت أن يكون الهجوم من ناحيته (الساحل الشمالي) واستخدمت في التمويه تكثيف الطلعات الجوية على جنوب سيناء ونصب هياكل كرتونية للدبابات، ثم هجمت هجومها المفاجئ على الساحل الشمالي حيث أن القوات المصرية المتواجدة في هذه الناحية غير قادرة على صد الهجوم.

وقامت إسرائيل بمفاجأة أخرى، هي المبادرة بالهجوم على جميع المطارات المصرية المدنية والعسكرية في الصباح الباكر في الساعة الثامنة وخمسين دقيقة، حيث كان الجزء الأكبر من قادة القوات الجوية لا يزالون في الطريق إلى قواعدهم، أو يتناولون إفطار الصباح، وقد ساعدهم في هذا النجاح أن طائرة المشير عبد الحكيم عامر وبرفقته بعض الضباط في طريقها إلى سيناء، وبالتالي كانت المدفعية المضادة للطائرات غير مسموح لها بالرماية، إضافة إلى أن الطائرات الإسرائيلية اقتربت إلى أهدافها على ارتفاعات منخفضة، ومن فوق البحر ووسط الضباب، مما ساعدها على عدم الظهور على شاشات الرادار المصرية، فقامت بقصف كل المطارات المدنية والعسكرية ودمرتها قبل أن تقلع أي طائرة لصد هذا الهجوم المفاجئ.

الثامن عشر: المناورة

وأقصد بها سرعة تحرك الجنود بالسرعة المطلوبة، وسهولة تغيير أماكنهم، واختيار المناطق المناسبة للتمركز فيها، ومنها اختيار المناطق العالية المشرفة على قوات العدو، وضرورة السبق للمواقع المهمة والسيطرة عليها قبل وصول العدو إليها، كما فعل النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر بعدما أشار عليه الحُباب بن المنذر بأن يعسكر بجيشه على آبار بدر ويجعلها خلفه فيشرب ولا يشربون.

التاسع عشر: المرونة

وأعني بذلك أن تكون قادراً على الاستجابة والتعامل مع الظروف المتغيرة والمفاجئة بكل خفة وذكاء. ففي بداية التخطيط للهجوم توضع خطط معينة مبنية على دراسة للعدو والأرض والإمكانات التي عندك، وفي أثناء المعركة قد تطرأ مفاجآت لم تكن محسوبة أو موضوعة في الخطة، فتكون عندك المرونة في تغيير خطتك حسب ما يستجد عليك في أرض المعركة من أحداث ومواقف لم تكن محسوبة، فتتعامل مع المستجدات بكل مرونة.

وقد يكون ذلك بتحديد البدائل أثناء وضع الخطة، وتهيئتها للتوقعات الطارئة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لقادته يوم مؤتة: (أمير الناس زيد بن حارثة فإن قتل فجعفر بن أبي طالب فإن قتل فعبد الله بن رواحة).

وتارة يكون بالتعامل المبتكر والمستحدث أثناء سير المعركة حسب المفاجآت التي تظهر وهذا يحتاج إلى قوة القلب، وسرعة التفكير، والإقدام في اتخاذ القرار، كما فعل خالد رضي الله عنه لإنقاذ جيش المسلمين يوم مؤتة وتسطير نصر فذٍ لا يحققه إلا أمثاله.

فأحياناً تضع خططك على اعتبار أن العدو سيرد بكذا وكذا من الأسلحة في أثناء المعركة فتتفاجأ أن العدو استخدم أسلوباً آخر وطريقة مستحدثة لم تضعها في حسبانك، أو هو يضع أمراً جديداً عليك لم تعهده من قبل، فتكون مهيأ نفسك للتعامل بكل مرونة مع ما يستجد عندك في أرض المعركة حتى ولو رأيت أن تغير خطتك التي كنت وضعتها قبل بدء المعركة تغييراً كاملاً.

وأحياناً تضع خطتك على تصور معين لحالة جنودك وقوتهم وقدراتهم ثم تحدث عوائق خارجية تؤثر في قدراتهم وإمكاناتهم وتضعف من قوتهم على مواصلة تنفيذ الخطة المرسومة لهم قبل المعركة فتكون عندك من المرونة للتعامل مع الحدث الطارئ لتكسب معركتك بإذن الله تعالى.

العشرون: اتقان عملية الحشد والتركيز

وذلك بأن تجمع أكبر قدر من قوتك وطاقتك في المهمة الرئيسة للمعركة، لضمان التفوق في النقطة أو النقاط الحاسمة في مسرح العمليات، وليس معنى ذلك أن ترسل كل جنودك وتضع جميع قوتك في مكان واحد، وإنما بتركيز القوة الأساسية والمهمة في المنطقة التي تريد أن تهاجمها أو تسيطر عليها، وهو من الأمور الأساسية التي تقوم عليها حروب العصابات.

وينبغي ألا تستخدم العدد الأكبر من جنودك في المحاور الفرعية وتقلل من عددهم في المحاور الرئيسة.

ويقصد بالحشد -في الاصطلاح العسكري- ضمان التفوق في النقطة أو النقط الحاسمة في مسرح العمليات، وبديهي أن الحشد بهذا المعنى يعتمد على التأليف الصحيح بين القوات والعتاد المتيسر.

الحادي والعشرون: الاقتصاد في القوة

يقصد به الاكتفاء بالعدد اللازم للمعركة والاحتفاظ بالقوات المتبقية لوقت الحاجة، بحيث لا ترسل لأرض المعركة إلا القوات التي تحتاج إليها وتستفيد من وجودها.

ويعتبر مراعاة هذا المبدأ ضمانة هامة لتحقيق المرونة في التنفيذ، وتحقيق القدرة على مواجهة المواقف الطارئة.

والاكتفاء باستخدام الأسلحة والذخيرة اللازمة للمعركة، ولا تستخدم من الأسلحة والذخيرة إلا ما يؤدي الغرض ويفي بالمقصود، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: (إذا أكثبوكم فارموهم بالنبل واستبقوا نبلكم) رواه البخاري.

الثاني والعشرون: الإصرار والاستمرارية

لابد من دراسة قدرات الجنود والإمكانات المتوفرة لديهم ليتعرف القائد على إمكانية الاستمرار في المعركة إلى نهايتها أو يبدو له أن العجز حاصل ومانع من مواصلة المعركة فيكون عدم القدرة على المواصلة في هذه الحالة سبباً رئيساً في التراجع أو الهزيمة وخسارة المعركة وتبديد الجهود، ولابد كذلك من دراسة احتمالات الاستمرارية فيما بعد المعركة كمطاردة العدو إلى مناطق أخرى وخيار السيطرة على المنطقة والاحتفاظ بها وما يتبع ذلك من ثقل سياسي وأعباء معنوية قد يكون في غنى عنها وقد تكون ثمرة دنا حصادها ولابد من قطفها والتفريط فيها آية العجز

فجيوش المسلمين خاضت معركة بعد أخرى واستولوا على المناطق واستمروا في فتح البلدان ولم يتراجعوا.

ولابد أن تقدر من البداية كم تحتاج من الوقت لإنهاء الهجوم والتغلب على العدو، وكم تحتاج من ذخيرة لإلحاق الهزيمة به كله أو بعضه قدر المستطاع.

الثالث والعشرون: اتقان مبدأ التعاون والتنسيق

والمقصود منه أن تكون مكونات الجيش وعناصره (تموين – إدارة – استخبارات (عيون وجواسيس) – اتصالات – قوات برية (مدفعية ومشاة)... وغيرها)، مكملة لبعضها البعض، ومتوافقة ومتناسقة تحت قيادة واحدة.

فالجيش مشكل من عدة عناصر وكلها يخدم بعضها بعضاً، وكل واحد منها محتاج للآخر، وكلما كان هناك تعاون وتنسيق جيد بين كل هذه العناصر كان كسب المعركة أسهل وأيسر بإذن الله تعالى.

فطابع الحرب هو التعاون بين الأسلحة المختلفة (برية، وبحرية، وجوية، ودفاع جوي)، ولا يمكننا كسب الحرب إلا إذا عملت عناصر الجيش كلها بتنسيق واحد.

ولا يكفي التعاون وحده لتحقيق النصر المنشود إلا إذا صاحبه تنسيق دقيق، ولعل من أسرار نجاح الألمان في بداية الحرب العالمية الثانية، هو قدرتهم على التعاون والتنسيق بين قواتهم العسكرية (الطيران – المدفعية – المشاة).

ولتحقيق التعاون والتنسيق بنجاح كبير ينبغي وصول المعلومات الصحيحة باستمرار لمركز القيادة، لأنها هي التي توجه وتحرك القوات على الأرض وفي الجو.

كما أنه لضمان نجاح التعاون والتنسيق لابد من توافر وسائل الاتصال الكافية، وعلى أن تتميز جميعها بالكفاءة والتنوع فضلاً عن سريتها وحسن استخدامها للشفرات.

والله الموفق والمسدد والهادي إلى سبيل الرشاد، لا إله غيره ولا رب سواه.

ملخص التقارير الميدانية عن ستة أشهر (1)

أولا: ملخص أبرز العمليات الجهادية خلال الشهرين الماضيين بولايتي خوست وبكتيكا:

- ١٨-٦-١٤٣٠: تفجير لغم أرضي تحت سيارة رئيس مديرية "سرحوضه" فقتل هو وقائده العسكري واثنان من الجنود.
- ٢٤-٦-١٤٣٠: كمين للقوات الأمريكية تم فيه تدمير ثلاث سيارات ولم يعلم عدد القتلى.
- ٤-٧-١٤٣٠: تفجير كونتينر يحمل سيارة همر وقد شوهدت بقاياهما.
- ٨-٧-١٤٣٠: عملية نوعية على معسكر "زيرك" للقوات الأمريكية شارك فيها أكثر من مائة مجاهد من الأفغان والعرب والتركستانيين حيث تم تقسيم المجاهدين إلى مجموعتين: مجموعة الإسناد والدفاع الجوي، ومجموعة الاقتحام. حيث تقدم أحد الاستشهاديين لفتح الطريق لمجموعة الاقتحام بشاحنة (كوماز) محملة بستة أطنان من الخلائط، وبعد التفجير تقدمت المجموعة تجاه المعسكر من اتجاهين، إلا أن وصول أربع مروحيات من طراز أباتشي ومقاتلتان وجاسوسية فوراً عرقل عملية الاقتحام وانشغلت مجموعة الإسناد بالإطلاق على المروحيات فأصابوا إحداها إصابة مباشرة فتصاعدت منها سحب الدخان، وشوهدت وهي تهبط تدريجياً ناحية معسكر أرجون، وقد اعترف العدو بسقوطها.

وقد نوه المتحدث باسم القوات الأمريكية بتميز هذه العملية واعترف بقتل اثنين من الجنود الأمريكان وإصابة عشرة آخرين منهم بجروح، بينما أشارت مصادر المجاهدين إلى أن خسائر العدو بلغت أربعين قتيلاً وإصابة خمسة وعشرين منهم بجروح. بينما استشهد عدد من المجاهدين وانتقاماً لهم قام البقية بالهجوم على مديرية "نكه" واستولوا على غنائم بدون قتال منها سيارتان من نوع "تويوتا" ورشاش متوسط وقاذف صاروخي وحوالي ثلاثين رشاش خفيف (كلاشنكوف) وماكينة ضخمة لتوليد الكهرباء.

- ١٢-٧-١٤٣٠: رماية خمسة صواريخ على معسكر زيرك أصاب أحدها مخزن الذخيرة فظلت النيران مشتعلة لأكثر من نصف ساعة.
- ١٣-٧-١٤٣٠: شارك أربعة من الإخوة العرب في كمين أعده الطالبان للمرتدين والأمريكان حيث

1-تعذر إدراج تقرير العمليات العسكرية في العدد الماضي من المجلة لأسباب عدة فأضفناها للعمليات التي تمت بعد ذلك واكتفينا بذكر أبرز العمليات التي تمت خلال تلك الفترة دون غيرها من العمليات وهي بفضل الله كثيرة جداً وذلك تجنباً للإطالة.

تم تدمير تسع سيارات عسكرية مشتركة واستولى المجاهدون على غنائم من بينها صناديق ذخيرة وقطع غيار للرشاش (بيكا) وقطع غيار للسيارات، وقد قتل في هذا الكمين قائد فرقة المرتدين وعدد آخر من الضباط والجنود، وقد جاءت أربع مروحيات من طراز اتشينوك لأخذ القتلى والجرحى.

- ١٩-٧-١٤٣٠: كمين للقوات الأمريكية تم فيه تدمير ثلاث سيارات منها واحدة بلغم أرضي وأصيبت عربة همر بإعطاب كامل، وقد جاءت المروحيات لنقل القتلى والجرحى، بينما قامت الطائرات المقاتلة بقصف مكثف للمنطقة، ولكن الله سلم المجاهدين.

ثانيا: ملخص باقي العمليات التي تمت خلال الستة الأشهر الماضية في مختلف الولايات الأفغانية:

١- ولاية ميدان شهر:

- استهدف المجاهدون الأبطال مديرية نرخ بولاية ميدان شهر بما يقارب ٣٠ قذيفة هاون و١٠ صواريخ كاتيوشا وأسفرت العملية عن تدمير سيارة للمرتدين وقتل ثلاثة من عساكرهم.
- قام المجاهدون الأبطال بعملية بطولية على رتل مشترك من الجنود المرتدين والشرطة المرتدة في مديرية "جلريز" وكانت نتيجتها تدمير سيارتين بالكامل وقتل ٢٠ من المرتدين وقد استشهد أحد المجاهدين واسمه جنت جل تقبله الله في الشهداء.
- وفي نفس المديرية أغار المجاهدون على سيارة للمرتدين الذين كانوا في طريقهم إلى ولاية "باميان" وأخذوا منهم صناديق الانتخابات وبطاقاتها وأسيرين وغنموا أيضاً سيارتهم.
- هجم المجاهدون على رتل للقوات المرتدة والصليبية على الطريق الواصل بين كابل وقندهار وبعد أن شرع المجاهدون بإطلاق النيران على العدو جاءت القوات الفرنسية والمرتدون لمددهم ودارت معركة بين الفريقين من الساعة العاشرة حتى العصر وأصيب العدو بخسائر بشرية كبيرة وأحرقت حاويتين لهم ولله الحمد والمنة.
- استهدف المجاهدون بالصواريخ مؤتمراً للمرتدين عقد في "ميدان شهر" كان يحضره وزير الدفاع "عبد الرحيم وردك" ورئيس الاستخبارات "أمر الله صالح" اللذين لاذا بالفرار ولم تعرف الخسائر البشرية والمادية الناجمة عن هذا الهجوم.

٢- ولاية غزني:

- قام المجاهدون بإحراق شاحنة تحمل المؤن للمحتلين وأسروا سائقها وفي مديرية "أندر" قام المجاهدون بإحراق شاحنتين للعدو وغنموا الأخرى وانسحبوا سالمين، وكذلك غنموا سيارة تحمل ثلاثة من المهندسين المرتدين العاملين مع القوات الصليبية المحتلة وقد جرح في هذه المعركة أحد المجاهدين وفقدت دراجة نارية واحدة.
- وفي نفس المديرية بمنطقة "ورزا" أغار المجاهدون على قافلة تحمل المؤن للأمريكان فقتل فيها

ستة من الشرطة المرتدة مع تدمير سيارتهم بالكامل وغنم المجاهدون حاوية مملوءة بقطع الغيار.

٣- ولاية ننجرهار:

- قام المجاهدون الأبطال بنسف سيارة للمرتدين بولاية ننجرهار بمديرية "دهبلا" وأسفرت العملية عن تدمير السيارة بالكامل وقتل ثلاثة من العساكر من بينهم أحد عناصر الاستخبارات.
- دمر المجاهدون في ولاية ننجرهار "مديرية بتي كوت" سيارة للمرتدين بقذائف الأر بي جي وقتل فيها ثلاثة من شرطة المرتدين.

٤- ولاية كابل:

- هاجم المجاهدون في ولاية كابل نقطة تفتيش للشرطة وقتلوا منهم ثلاثة وغنموا رشاشين ومخابرة وعدد من الهواتف الجوّالة، وفي الصباح فجروا لغماً في الطريق على الذين جاؤوا للتحقيق في الواقعة فأسفر عن قتل خمسة من الشرطة وإصابة ٢٢ بجروح منهم رئيس تحقيق الجرائم الجنائية "علي شاه بكتيوال" والحمد لله وحده.

٥- ولاية بغلان:

- دمر المجاهدون سيارة شرطة بعبوة ناسفة زرعوها في طريقهم وقتل جميع من فيها وكان ذلك في ولاية بغلان "مديرية نهرين".
- دارت معركة بين المجاهدين والمرتدين في مديرية "خانقاه" لمدة ساعة وأدت إلى تدمير مدرعة للعدو بكاملها ورجع المجاهدون بأمان وسلامة وفي أثناء رجوعهم هاجموا نقطة عسكرية أخرى فقتلوا أحد جنود العدو ودمروا لهم سياراتهم وكانت المعركة بين الساعتين الواحدة والثانية ليلاً.
- فجر المجاهدون سيارة للمرتدين على طريق مزار شريف بعبوة ناسفة فقتل وجرح كل من فيها.

٦- ولاية جوزجان:

- هاجم المجاهدون رتلاً للقوات التركية على الطريق الواصل بين مزار شريف وجبر خان عند ولاية جوزجان "مديرية أقجه" مما أدى إلى قتل جنديين تركيين ولله الحمد والمنة.

٧- ولاية كندز:

- قام المجاهدون بالهجوم على نقطة "قلم كثر" بمديرية "إمام صاحب" بين الحدود الأفغانية والطاجيكية فدارت المعركة بينهم وبين المرتدين لمدة ساعتين أصيب العدو خلالها بخسائر فادحة واضطر للفرار من ساحة المعركة ورجع المجاهدون لقواعدهم سالمين.

٨- ولاية تخار:

- قام المجاهدون بتفجير مدرعتين للقوات المحتلة الألمانية في ولاية تخار في منطقة ''شاهيدان'' مما أدى إلى قتل وجرح من فيها وتدمير إحدى المدرعتين بالكامل وإعطاب الأخرى والحمد لله وحده.

٩- ولاية زابل:

- إحراق سيارتين وقتل ١٥ مرتداً والاستحواذ على بعض الغنائم منها (رشاش بيكا)، وقد استشهد ثلاثة من الطلبة والأخ أبو عامر النجدي رحمهم الله.
- عملية استشهادية على قافلة للقوات البولندية على الطريق العام وكانت الحصيلة قتل ٢٢ صليبياً وتدمير ثلاث مركبات لهم.
- كمين لقافلة أمريكية وشاحنات لإمداد قاعدتهم على طريق زابل-قلات وهي قاعدة ضخمة حيث تم تدمير ''همرين'' وشاحنة للتموين وشوهد الأمريكان يفرون ورجع المجاهدون سالمين بحمد الله.
- عملية استشهادية على قافلة من قوات الردة على الطريق العام في زابل-تشاجوي:

وكان تخطيط العملية هو أن يقوم المجاهدون بالإغارة على مركز المرتدين بعد ذلك عندما يأتي الأمريكان للمساعدة ويجتمعون عند نقطة محددة ينقض عليهم الاستشهادي ويفجر فيهم، لكن المرتدين اشتبهوا في سيارة الأخ الاستشهادي وقاموا بالرماية عليه فانسحب بسلام وقام الإخوة بعد ذلك بتغيير لون السيارة من اللون الأحمر إلى الأبيض من باب الاحتياط وتم تحديد يوم جديد للعملية وانطلق أخونا الاستشهادي وجاء الصليبيون بجواره ولم يستطع التفجير لوجود عوام المسلمين وعندما ذهبوا جاءت سيارة للمرتدين وأوقفته فما كان منه إلا أن فجّر فيهم وهلك جميع المرتدين الراكبين فيها.

١٠- ولاية وردك:

- كمين بمشاركة الطلبة تم فيه إحراق خمس عشرة سيارة منها تسع سيارات للأمريكيين، وفي عملية أخرى تم إحراق ثلاث سيارات إحداها بلغم أرضي، وقد قتل تسعة من الأعداء وانحاز الأخوة في كلتي العمليتين بسلام والحمد لله.
- في منطقة منجل تم اقتحام معسكر للمرتدين بمشاركة الطلبة وقد فتح المعسكر وغنم المجاهدون ما فيه وأحرقوا السيارات التي خلفها أفراد الجيش الذين فروا مع بداية الاشتباك.
- قام المجاهدون من كتيبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بزراعة لغم أرضي في طريق قافلة لجيش الردة فقتل تسعة منهم حسب روايتهم وأربعة عشر عنصراً حسب رواية الطالبان.

في ظلال آية

(من كان يريد العزة فلله العزة جميعا)

(فاطر: 10)

كتبها: عطية الله أبو عبد الرحمن

لم يزل طلبُ العزة دأبَ البشر، لا جرم أن الإنسان معترفٌ في قرارته بحقيقة حقارته، وفقره وعجزه وحاجته.

فمن الناس من ابتغاها في الأموال والمِـلك، ومنهم من ابتغاها في الرياسة والمُلك، ومنهم من ابتغاها في الأعوان والأنصار والأولاد والعشيرة {أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا } { وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا } { ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾} ومنهم من ابتغاها في شركاء من دون الله يعبدهم {وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾} فكان كما قال الله { مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾}.

الكل باحث عن العزة طالبٌ لها، وأكثرهم فاسقون وعن الصراط ناكبون، {أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾} ، فهدى الله أهلَ الإيمانِ به واتباع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مصدر العزة ومنبعها وسبيلها وطريق تحصيلها : { مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ } : (ومَن اسمُ شرطٍ وما بعده فعلُ الشرط ، والجمع بين (كان) و (يريد) للدلالة على دوام الإرادة واستمرارها، وجملةُ {فَلِلَّهِ العزة جَمِيعاً} دليلُ الجوابِ ولا يصح أن يُجْعَلَ جواباً للشرط من حيث الصناعة النحويّة لخلوه عن ضمير يعود على (مَن) ، وقد قالوا : لا بد أن يكون في جملة الجواب ضمير يعود على اسم الشرط إذا لم يكن ظرفاً، والتقدير من كان يريد العزة فليطلبها من الله تعالى فلله وحده لا لغيره العزة فهو سبحانه يتصرف فيها كما يريد، فوضع السبب موضع المسبَّب لأن الطلب ممن هي له وفي ملكه جميعها مسبَّبٌ عنه، وتعريف العزة للاستغراق بقرينة {جَمِيعاً} وانتصابُهُ على الحال، والمراد عزة الدنيا والآخرة، وتقديم الخبر على المبتدأ للاختصاص) [الألوسي بتصرف يسير].

وبيّن ربُّنا عز وجل غلط الغالطين في طلب العزة من غير محلها { ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾} (وقد علم الله عز وجل أنهم كانوا يريدون الاعتزاز لأن الإنسانَ مجبولٌ على طلب العزة؛ فمخطئٌ أو مصيبٌ، فمعنى الآية والله أعلم : بلغ هؤلاء المتخذين الكافرين أولياءَ من دون الله ابتغاءَ العزة بهم أنهم قد أخطأوا مواضعها وطلبوها في غير مطلبها فإن كانوا يصدقون أنفسهم في طلبها فليوالوا الله جل جلاله وليوالوا من والاه)[الزركشي].

فيا مَن تريد العزّ، وتطلب العزة، وتتحاشى عن الذّلّة، عليك بربك العزيز المجيد الكبير المتعال، فإن العزة جميعَهَا له وعنده وبيده، يؤتيها مَن يشاءُ ويمنعها من يشاء { قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) }.

ويا من تريد عز الدنيا والآخرة عليك بطاعة مولاك العزيز الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، المتصرّف في خلقه كما يشاء، الفعّال لما يريد، الذي لا رادَّ لقضائه ولا معقّب لحكمه، وهو العزيز الحكيم، الذي العزةُ إزارُهُ والكبرياءُ رداؤُهُ، فالزم طاعته وخدمته، وكن أبداً في صفّه وجانبه وحدّه، وتذلل إليه واخضع، وانكسر وتواضع، يرفعْ ـكَ ويعزّك، ولا تكن من المخالفين المحادّين فتذلّ؛ فإن العزة في طاعته والذلُّ والخسرانَ في معصيته : { إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ (٢١) }، {وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨) }.

نعم، المنافقون لا يعلمون!، لا يعلمون أن العزة لله ولمَن والى الله وكان في صفِّ الله، فراحوا يطلبونها من غير محلها وعندَ مَن لا يملكُها، يتعزّزن بالأولياء من دون الله {يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ }.!

المنافقون لا يعلمون هذه المعاني ولا تكاد تستقرُّ في قلوبهم، وإن طافت بها أحياناً كالخيال!!

أما أهل الإيمان فقد وُفّقوا وسُدّدوا واستبانت لهم الطريق وأبصروا بما آتاهم الله من النور سبيلَ العزة في الدنيا والآخرة، وشكروا نعمةَ الله أن أعزهم بهذا الدين كما قال أحدُ قدواتهم العظام (سيدنا عمر رضي الله عنه) : (نحن قومٌ أعزّنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزّ في غيره أذلّنا الله)، فاستجابوا لله العزيز وصدّقوا وأيقنوا وأذعنوا وانقادوا لأمره { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } فطوبى لهم وكرامة وسيادة وسعادة، وحسن خاتمة.

فــوائـــد

- **قال ابن رجب: "خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لايطلع عليها الناس".**
- **قال بعضهم: "ذنوب الخلوات تؤدي الى الانتكاسات، وطاعة الخلوات طريق للثبات حتى الممات بإذن الله".**
- **قال الصنعاني: " انظر في حكمة الله ومحبته لاجتماع القلوب كيف حرم النميمة – وهى صدق – لما فيها من إفساد القلوب وتوليد العداوة والوحشة ، وأباح الكذب – وان كان حراماً – إذا كان لجمع القلوب وجلب المودة و إذهاب العداوة "**

خبر وتعليق

تعليق الشيخ: حسام عبد الرؤوف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

فهذه بعض الأخبار التي استمعنا إليها من وسائل الإعلام خلال الفترة الماضية وما بدر إلى ذهني من تعليقات على تلك الأخبار فأردت أن أذكرها لقرائنا الكرام من باب التسرية والتسلّي بأخبار "قادتنا العظام" و"ساستنا المحنكين" وأحزابنا الإسلامية المعتدلة "الميمونة" الذين سيعيدون للأمة مجدها وعزها عبر الانصياع للشرعية الدولية وسلوك اللعبة الديمقراطية.

الخبر: الحكومة السودانية تطالب بإلحاح برفع اسم السودان من قائمة الولايات المتحدة للدول الداعمة للإرهاب!

التعليق: السودان يواجه مشكلات جمة! فالدولة في طريقها للتقسيم على ثلاثة في أحسن الأحوال، والبترول سوف يقسم بنسبة ٥٠٪ للشمال الذي يقطنه ٣١ مليوناً من المسلمين، و٥٠٪ للجنوب الذي يقطنه ٨ ملايين من الصليبيين والوثنيين! ورئيس الدولة مهدد بالاعتقال والمحاكمة، ومشكلات مع جميع دول الجوار عربية كانت أم أفريقية! هل ستحل كل هذه المشكلات بمجرد رفع اسم السودان من القائمة المشئومة!!!

الخبر: الصحوات في العراق تشكو من عدم صرف الرواتب لهم منذ عدة أشهر، وكذلك من الإغفال في التعيين بالوظائف الحكومية كما وُعِدوا سابقاً!

التعليق: خسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين! إلا أن يتغمدهم الله برحمته فيثوبوا إلى رشدهم ويرجعوا إلى دينهم وينصروا إخوانهم المجاهدين من أهل السنة في العراق.

الخبر: اشتداد الخلاف بين فتح وحماس فيما يتعلق بقضية أفراد حماس الأسرى في سجون فتح بالضفة الغربية!

التعليق: انتقل الصراع في فلسطين من إسلامي يهودي إلى صراع عربي إسرائيلي، ثم إلى صراع فلسطيني إسرائيلي، ثم إلى صراع فلسطيني فلسطيني، ولعلهم يخططون ليصبح الصراع بين سكان الضفة وسكان القطاع .. و"شالوم" على أبطال "منظمة التحرير" ومن يعترف بهم.

الخبر: تعيين رئيس الوزراء الدانمركي السابق منسقاً لحلف الناتو!

التعليق: إذا كان الغراب دليل قوم يمر بهم على جيف الكلاب الرومية الملقاة في صحاري أفغانستان، وأبشر بطول سلامة يا مِربعُ!

الخبر: الأمير سعود الفيصل يصرِّح في واشنطن أن العقبة الوحيدة للتطبيع مع الكيان الصهيوني في فلسطين هي بناء المستوطنات العشوائية!

التعليق: إذا لم تستح فاصنع وقل ما شئت وعلماء "السلطان والكبسة والمندي" جاهزون لإصدار الفتاوى التي تجيز كل ما تفعلونه!

الخبر: الحكومة المصرية ترفض التفاوض مع جماعة "الإخوان المسلمين" لأنها جماعة غير شرعية!

التعليق: مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيهِ .. ما لجُرْحٍ بمَيّتٍ إيلامُ

من يهن فيقبل يسهل الهوان عليه؛ ومن يسهل الهوان عليه يفقد كرامته؛ فيتلقى -بصدر رحب- الصفع على الوجه والقفا، والجذب من الثياب كما تجر الدواب على وجه الإهانة من قِبَل عدوّه، والإلقاء في الزنزانات كما تلقى الحيوانات في الأقفاص الحديدية...ولا يمنعه ذلك من خوض الانتخابات (الديمقراطية) والالتزام بالدستور والقانون... وعجبي!

الخبر: ابنة السادات تقيم الدنيا ولا تقعدها لأن أحد الأفلام الأمريكية صور أباها الهالك على أنه كلب!

التعليق: كذبوا والله فإنه كان أحط من الخنزير! وتشبيهه بالكلب عارٌ على حيوان يضرب به المثل في الوفاء والغيرة على أنثاه وهذا كان لا وفاء عنده ولا غيرة.

الخبر: الإدارة الأمريكية تتحفظ على خبر قتل أمير المجاهدين بيت الله محسود!

التعليق: أوباما جالس وفي يده زهرة كبيرة يسقط بتلاتها واحدة تلو الأخرى: (قتل... لم يقتل.... قتل .... لم يقتل..) فيتعجب أحد مساعديه ويسأله: ولكن أين يا ريّس الأقمار الصناعية التي صورت لنا القلم الذي كان في جيبه ووجد ملقياً على الأرض هل عجزت أن تلتقط لهم صورة وهم يخرجونه من بين الأنقاض فنقطع الشك باليقين؟!

الخبر: بدء تشغيل قناة أزهري الإسلامية مع بداية شهر رمضان!

التعليق: بشرى سارة لمسلمي العالم فلقد عرفنا أخيراً معنى الوسطية التي يطالب علماؤنا (الأجلاء) بانتهاجها لتغيير الصورة المشوهة عن الإسلام لدى الغرب، حيث اتضح أن الوسطية التي يقصدونها مشتقة من (الوِسْط) وليس (الوَسَط) نتيجة خطأ البعض في التشكيل، وبناءً عليه فإن القناة المذكورة تقترح على المشاهدين تعلم أحكام (هزِّ الوِسْط) للرقص على إيقاع الموسيقى التي ستبثها مصاحبة للبرامج الإسلامية

الدرامية وفتاوى علماء الأزهر المشاركين في برامجها لإثبات وسطية الإسلام وسماحته!

الخبر: سكان قرية البرادعة بمحافظة القليوبية في مصر يجأرون إلى السيئ الرئيس أن ينقذهم من مصيبة اختلاط ماء الشرب بماء مجاري الصرف الصحي مما جعلهم جميعاً مهددين بالموت إما بالتيفوئيد وإما بالعطش!

التعليق: لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي، فكل سكان القرية السبعين ألفاً، بل كل سكان مصر الثمانين مليوناً لا يساوون عند (الريس) شعرة في جسد (المرحوم) حفيده حتى يسأل عنهم إن نزلت عليهم المصائب!

الخبر: الصيادون المصريون المختطفون منذ أربعة أشهر يقتلون اثنين من القراصنة ويأسرون ثمانية ويبحرون بقاربيهم المختطفين نحو اليمن!

التعليق: أتخيل سكرتير الرئيس يدخل عليه وهو يدندن (المصريين أهمه حيوية وعزم وهمة)، فيقذفه الريِّس بكوب الشاي التي في يده، ويقول له: (يافضيحتي بين الرؤساء ماذا أفعل لو اتصل بي الآن (فخامة الرئيس) الصومالي الشيخ شريف أحمد وقال لي إن صياديكم المتطرفين المتوحشين قتلوا اثنين من رِجّالتي وألقوا الثالث في البحر وهو جريح!).

الخبر: إعادة انتخاب (فخامة الرئيس) محمود عباس رئيساً للجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية!

التعليق: وكأن فخامته يخاطب أعضاء اللجنة قائلاً: إخواني الأعزاء أبشركم بأن عقد زواجي السعيد من السيدة (المقاومة الشريفة) سينعقد في خلال العقدين القادمين، وأول ثلاثة مواليد من زواجنا الميمون سيكونون: (الحرية) و)الاستقلال) و(الدولة) وهنَّ وليّات العهد من بعدي فمن نازعهنَّ الملك ستحل عليه لعنتي من القبر فينقلب إلى قرد أو خنزير، مع كامل الاعتذار لأولاد العم!

الخبر: قتل جميع ركاب الطائرة اليمنية إلا فتاة عمرها أربع عشرة سنة والعثور على امرأة إيطالية عمرها ٩٨ عاماً حية بعد أن ظلت أكثر من ٣٠ ساعة تحت الأنقاض بسبب الزلزال!

التعليق: قال تعالى: (**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾**).

استراحة العدد

أولا: من مشكاة النبوة:

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا معشر المهاجرين خمسُ خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن؛ لم تظهر الفاحشةُ في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطرَ من السماء ولولا البهائمُ لم يمطروا، ولم ينقضوا عهدَ الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتُهُم بكتاب الله تعالى ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسَهم بينهم.[رواه ابن ماجه واللفظ له والبزار والبيهقي وصححه الشيخ الألباني].

- عن عتبة بن عبد السلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " القتلى ثلاثة : مؤمن جاهد نفسه وماله في سبيل الله فإذا لقي العدو قاتل حتى يقتل " قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه : " فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة ومؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل " قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه : " مصمصة محت ذنوبه وخطاياه إن السيف محاء للخطايا وأدخل من أي أبواب الجنة شاء ومنافق جاهد بنفسه وماله فإذا لقي العدو قاتل حتى يقتل فذاك في النار إن السيف لا يمحو النفاق " .[رواه الدارمي وصححه الشيخ الألباني].

ثانيا: مقتطف من كتاب:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتاب حادي الأرواح :

وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحاً يُفتَح به؛ فجعل مفتاحَ الصلاة الطهور كما قال مفتاح الصلاة الطهارة، ومفتاحُ الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال حسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل. وهذا بابٌ عظيم من أنفع أبواب العلم، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحاً وباباً يُدخَل منه إليه، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسولَهُ والغفلةَ عن ذكره والقيام بحقه مفتاحاً للنار، وكما جعل الخمرَ مفتاحَ كلِّ أثم، وجعل الغناءَ مفتاحَ الزنا، وجعل إطلاقَ النظر في الصور مفتاحَ الطلب والعشق، وجعل الكسلَ والراحةَ مفتاحَ الخيبة والحرمان، وجعل المعاصيَ مفتاحَ الكفر، وجعل الكذبَ مفتاح النفاق، وجعل الشُّحَ والحرصَ مفتاحَ البخلِ وقطيعةِ الرحم وأخذِ المال من غير حِله، وجعل الإعراضَ عما جاء به الرسول مفتاحَ كل بدعةٍ وضلالة، وهذه الأمور لا يصدِّقُ بها إلا كل مَنْ له بصيرةٌ صحيحة وعقلٌ يعرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر، فينبغي للعبد أن يعتني كل الإعتناء بمعرفة المفاتيح وما جُعلت المفاتيحُ له، والله من وراء توفيقه وعدله، له الملك وله الحمد وله النعمة والفضلَ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون.اهـ .

ثالثا: من أمثال العرب:

وافق شنٌّ طبقة:

قال الشرقي بن فطامي: كان شن من دهاة العرب فقال والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلي فأتزوجها فسار حتى لقي رجلاً يريد قرية يريدها شن فصحبه فلما انطلقا قال له شن أتحملني أم أحملك فقال الرجل يا جاهل كيف يحمل الراكب الراكب فسارا حتى رأيا زرعاً قد استحصد فقال شن: أترى هذا الزرع قد أكل أم لا فقال يا جاهل أما تراه قائماً فمرا بجنازة فقال أترى صاحبها حياً أو ميتاً فقال ما رأيت أجهل منك أتراهم حملوا إلى القبور حياً ثم سار به الرجل إلى منزله وكانت له ابنة تسمى طبقة فقص عليها القصة فقالت أما قوله أتحملني أم أحملك فأراد تحدثني أم أحدثك حتى تقطع طريقنا وأما قوله أترى هذا الزرع قد أكل أم لا فأراد باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا وأما قوله في الميت فإنه أراد اترك عقبا يحيا به ذكره أم لا فخرج الرجل فحادثه ثم أخبره بقول ابنته فخطبها إليه فزوجه إياها فحملها إلى أهله فلما عرفوا عقلها ودهاءها قالوا وافق شن طبقة.[1]

رجعَ بخفّي حُنين:

وهو مثل يُضرب عن الرجوع بالخيبة واليأس من الحاجة، وأصله أن إسكافاً كان يقال له (حُنين) أتاه أعرابي فساومه بخفّين فاختلفا حتى أغضبه الأعرابي، فلما ارتحل أخذ حنين الخفّين فألقى أحدهما على طريق الأعرابي، ثم ألقى الآخر على مسافة منه، وكَمَن بينهما بحيث لا يراه، فلما مرّ الأعرابي بالخُفّ الأول قال:ما أشبه هذا بخف حُنين، ولو كانا خُفين لأخذتهما.
ثم مرّ بالآخر، فندم على تركه الخفَّ الأول، فأناخ راحلته وأخذه ورجع في طلب الآخر، فأخذ حُنين الناقة ومضى، وأقبل الأعرابي إلى أهله ليس معه غير خفّي حنين، فذهب ذلك مثلاً.

قطَعتْ جَهيزةُ قول كلّ خطيب:

وأصلُه أن قوماً اجتمعوا يخطبون في صُلح بين حَيَّين، قتل أحدهما من الآخر قتيلاً، ليرضوا بالديّة، فبينما هم في ذلك إذ جاءت أَمَةٌ يقال لها (جَهيزة) فقالت: إن القاتل قد ظفر به بعض أولياء المقتول فقتلوه، فقالوا عند ذلك: قطعت جَهيزة قول كل خطيب.

لا يكذب الرائد أهله:

والرائد هو الذي يقدمونه ليرتاد لهم كلأ أو منزلا أو ماء أو موضع حرز يلجؤون إليه من عدو يطالبهم، فإنَّ كذبهم أو غرهم صار تبذيرهم على خلاف الصواب، فكانت فيه هلكتهم.[2]

1- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري (262\1).
2- الأمثال لابن سلام (4\1).

أم المؤمنين أم سلمة ـ رضي اللّه عنها ـ

كتبها: عطية الله أبو عبد الرحمن

أمنا المكرّمة العالية القدر، أكرمْ بها وأعظمْ مِن عَلَمٍ للهجرة والجهادِ والصبرِ والتضحية والتفاني واليقينِ والاحتسابِ وكرمِ الأخلاق.

اسمها هندُ بنت أبِي أمية بن المغيرة المخزومية، أسلمتْ بمكة من أوائل من أسلم، مع زوجها أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة المخزومي، وهو ابن عمها، وكانت معه أولَ من هاجرَ من المسلمين إلى الحبشة.

ولذلك فأم سلمة رضي الله عنها من أهل الهجرتين،وقيل إنها كانت أولَ امرأةٍ هاجرت من مكة إلى المدينة.

توفِّيَ زوجها (ابنُ عمها أبو سلمة) رضي الله عنه في جمادى الآخرة سنة أربعٍ للهجرة، بعد غزوة أحدٍ، فإنه كان جُرِحَ يومَ أحدٍ، ثم انتقض عليه جرحُهُ فمات منه رضي الله عنه، وهو أحد السابقين الأولين من المهاجرين والمؤمنين بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أصحاب الهجرتين، إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة (رضع هو وحمزة والنبي صلى الله عليه وسلم من ثويبة مولاة أبي لهب). ولأمة سلمة من الأولاد: سلمةُ، ولدَ قبل الهجرة، ثم عُمر ودرة وزينب ولدوا في المدينة، وكلهم من أبي سلمة.

فلما توفي أبو سلمة رضي الله عنه تزوّجها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم.

تقول في قصة هجرتها إلى المدينة: لما أجمع أبو سلمة الخروجَ إلى المدينة رَحَلَ لي بعيره ثم حملني عليه، وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج يقود بي بعيره. فلم رأته رجالُ بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيتَ صاحبتنا هذه علامَ نتركُكَ تسيرُ بها في البلاد؟! قالت: فنزعوا خطامَ البعير من يده وأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهطُ أبى سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا ابني سلمةَ بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة [رهطُها هي] عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففرق بينى وبين ابني وبين زوجي. قالت: فكنت أخرج كلَّ غداةٍ فأجلسُ في الأبْطَح، فما أزال أبكي حتى أمسي، سنةً أو قريباً منها، حتى مرَّ بى رجلٌ من بنى عمّي أحدُ بنى المغيرة، فرأى ما بى فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تحرجون من هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟! قالت: فقالوا لى: الحقى بزوجك إن شئت. قالت: فردَّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني، قالت: فارتحلت بعيرى، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معى أحدٌ من خلق الله، حتى إذا كنتُ بالتنعيم لقيتُ عثمانَ بنَ طلحة ابن أبى طلحة أخا بنى عبد

الدار، فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قلت: ما معي أحد إلا الله وبنى هذا. فقال: والله ما لك من مَتْرَكٍ. فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرمَ منه؛ كان إذا بلغ المنزلَ أناخ بي، ثم استأخر عني حتى إذا نزلتُ استأخر ببعيري فحطَّ عنه ثم قيده في الشجر، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواحُ قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي، فإذا ركبتُ فاستويتُ على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي، فلم يزل يصنعُ ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرِو بنِ عوفٍ بقباء قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلاً، فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعا إلى مكة. اهـ .

والقصة رواها ابن إسحاق بسندٍ صحيح، فالله أكبر، يا لها من عبرةٍ للمعتبِرين والمعتبِرات.

وأسلمَ عثمان بن طلحة هذا بعد الحديبية، وهاجر مع خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنهما، وهو الذي دفع إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ الفتح وإلى ابن عمه شيبة والد بني شيبة مفاتيحَ الكعبة، أقرها عليهم في الاسلام كما كانت في الجاهلية.

قصة زواجها برسول الله صلى الله عليه وسلم: في صحيح مسلم عن أم سلمة أنها قالت: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من مسلم تصيبه مصيبةٌ فيقول ما أمره الله {إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون} اللهم اؤجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، قالت: أرسل إليّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاطبَ بنَ أبي بلتعة يخطبني له، فقلت: إن لي بنتاً [تعني رضيعةً] وأنا غيورٌ، فقال: أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يَذهَبَ بالغيرة".

قال الحافظ في الإصابة: وكانت أم سلمة موصوفةً بالجمال البارع والعقل البالغ والرأي الصائب، وإشارتها على النبي صلى الله عليه وسلم يومَ الحديبية تدل على وفور عقلها وصواب رأيها. اهـ .

عن أم الحسين أنها كانت عند أم سلمة رضي الله عنها، فأتى مساكينُ، فجعلوا يلحُّون، وفيهم نساء، فقلت اخرجوا أو اخرجن، فقالت أم سلمة: ما بهذا أمرنا يا جارية، رُدِّي كلَّ واحدٍ أو واحدة ولو بتمرةٍ تضعينها في يدها.

وشهدتْ أمُّ سلمةَ من المغازي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوةَ خيبرَ، وقالت: سمعتُ وقعَ السيف في أسنان مرحب [تعني اليهوديَّ].

وأمنا أمُّ سلمةَ هي آخر أمهات المؤمنين وفاةً، فقد ثبت في صحيح مسلم أن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان دخلا على أم سلمة في خلافة يزيد بن معاوية فسألا عن الجيش الذي يُخسف به، وكان ذلك حين جهَّز يزيدُ بن معاوية مسلمَ بن عقبة بعسكر الشام إلى المدينة فكانت وقعةُ الحَرَّةِ سنةَ ثلاثٍ وستين. قاله ابن حجر.

رضيَ اللهُ عن أمّ سلمةَ وأرضاها، اللهم إنا نشهدُك أننا نحبها وسائرَ أمهاتِ المؤمنين وصحابة نبيّك صلى الله عليه وسلم، فاللهم احشرنا في زمرتهم وألحقنا بهم في دارِ كرامتك.

في الجهاد والسلوك البشري

كتبها: جعفر صادق

في حادثة أثارت اهتمام علماء النفس لناحية من نواحي السلوك البشري، كانت إحدى الموظفات عائدة إلى بيتها في أميركا (بلد الجرائم والوحشية) فتوجه لها أحد المجرمين وطعنها عدة مرات في جريمة استمرت خمساً وأربعين دقيقة، وشهدها ثمانية وثلاثون شخصاً ولم يتوجه أحد منهم لإنقاذها!

كان استنتاج الناس وقتها أن البشر في المدن الكبيرة باردون ولا يهتمون بغيرهم وعندهم درجة عالية مما يسمى بالأنانية. ولكن الدراسات اللاحقة التي أثيرت حول هذا الموضوع، خاصة دراسة قام بها اثنان من علماء النفس (Latane & Partey ١٩٦٨) أوضحت خلاف ذلك!

فقد أوضحت دراستهما عكسية العلاقة بين عدد المشاهدين وتقديم المساعدة (كلما زاد عدد المشاهدين كلما قلت نسبة تقديم المساعدة) وطردية العلاقة بين عدد المشاهدين وتقديم المساعدة (كلما قل عدد المشاهدين كلما قل الوقت الذي يتم فيه تقديم المساعدة) استخدما هذين البعدين كمقياس لسلوك المساعدة.

أثمرت هذه الدراسة عما يسمى بأثر المشاهدين (يتضح في العلاقتين المذكورتين سابقاً) Bystanders effect. وأوضحت دراسات لاحقة أن هذا الأثر لا يتم فقط في حالة وجود حقيقي لمشاهدين آخرين حتى يتم ما أسموه بـ (توزع المسئولية Diffusion of responsibility)، بل إن تصور وجود آخرين قد يمرون بمن يحتاج للمساعدة يتسبب بذاك الأثر.

علاقة هذا الموضوع بالدين عموماً، هو الفرق بين المسئولية التي تنبعث من الحس الاجتماعي للإنسان، والمسئولية المنبعثة من نور الشريعة فيما يعرف بالحكم التكليفي!، ففي المسئولية الأولى تحكم الإنسان دوافعه البشرية ونوازعه الأرضية، وهي أمور يستطيع كل شخص أن ينجي نفسه من الشعور بالذنب لعدم تحمله إياها باستخدام السفسطة العندية أو غيرها!

أما المسئولية الثانية فيحكمها خطاب الشرع المتعلق بأفعال العباد، وهو –كما نص عليه شيخ الإسلام في الاستقامة وغيرها– في أكثر أحواله موضع إجماع أو يقين استدلالي أو غلبة ظن راجحة –ولله الحمد–.

ومن ذلك موضوع الجهاد دفاعاً عن حرمات الإسلام، فإنه ليس من قول أحد من المسلمين تركهم والعدو وعدم مساعدتهم، كما حكاه شيخنا "أبو الوليد الأنصاري" حفظه الله في كتابه النافع المنير "سلّ الحسام".فها نحن في أرض الجهاد، نرى العدو ينفش ريشه ويقتل منا ومن "المدنيين" –كما يسمونهم– من يقتل، ونرى –كنا نرى– في بلادنا من يتعشى في أفخر المطاعم ويتناقش في أخطاء

المجاهدين أو بطئهم في تحقيق النصر، ويقف هو موقف المشاهد، كأن المسئولية لا تعنيه!! فلا هو جاهد بلسانه بنشره بين الناس الوعي الصحيح كما يقوم به الشيخ الدكتور "عبد الله النفيسي" -حفظه الله-، ولا هو جاهد بماله كما يقوم به ضعفاء البشتون الذين لا يجدون ما ينفقون فيفعلون لنا من الجميل ما يعجز اللسان عن وصفه إذا نسبناه لقدرتهم المالية!!

أما عن جهاد السيف، فهنا تسكب العبرات!! فهو الطريق الذي نتيقن صحته لقلة السالكين عليه فالحق ثقيل على النفس، وقليل فاعله والقائم به، والله المستعان.

والحجج إن كانت الأعذار الثمانية المذكورة للبشر عموماً في سورة التوبة، فقد كفانا الله بالتوعد لمستحبيها على الجهاد بعدم الهداية وبوصفه لهم بالفاسقين.

أمّا إن كانت غيرها، مما بينه الله في آيات كثيرة في سورة التوبة، بادئاً كلاً منها بـ : "ومنهم....". فاعرض نفسك عليها -يارعاك الله- لتوفر لنفسك مقياساً موضوعياً صادقاً ثابتاً (كما يقال في علم القياس النفسيPsycho-metrology) صِدْقَه مأخوذ من تقدير أحكم الحاكمين، وثباته مضمون من الخالق سبحانه، وعموميته صحيحة وفقاً لمفهوم كون الأمة جسداً واحداً، ما ينطبق على عضو ينطبق على غيره.

أما إن كانت الحجة قول بعض أهل العلم: "الجهاد اليوم فرض كفاية" فهذا ترده أدلة كثيرة من الواقع، منها أن العدو نزل بساحتنا، ولم ندفعه قبل ذلك ولم يندفع حتى الآن وليست الكفاية متحققة لرفع هذا البلاء! ومنها نداء قادة الجهاد وعلمائه للقاعدين أن هلموا إلينا وغير ذلك، فلا نسمع من القاعدين إلا: الجهاد فرض كفاية، ولو نعلم قتالاً لاتبعناكم!! ومعلوم ماذا قال الله تعالى عن قائلي العبارة الأخيرة.

أما من يريد الخروج ولا يجد طريقاً فليعد العدة الإيمانية والمالية والبدنية، وليحقق ويتحقق معنى قوله تعالى: "وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ". ونسأل الله له القدوم إلى أرض الجهاد، فوصول شخص إلينا -من كوادر وطاقات المسلمين- يساعدنا، أحب إلينا من كثير من النشاطات الأخرى هناك ومن مقالات يكتبها بأسماء مجهولة على الإنترنت، وهنا يستطيع المرء الحصول على موارد الكتابة بسهولة ويسر، وتنشر مقالاته على هذه المجلة المباركة، وتتلقفها أجهزة الاستخبارات بالتحليل أكثر من مقالات الإنترنت تلك!!

أما عن العلم بوجود أناس يجاهدون ويحققون انتصارات ميدانية على العدو، فهذا أمر نحمد الله عليه، وحتى لو كنا في أدنى مراتب الكفاية (وهو خلاف الواقع، فهناك الكثير من الأمور التي تحتاج العمل عليها) فإننا نحتاج الكثير من المشاركين لا المشاهدين الذين يوزعون المسئولية بينهم!!

وعلى أي حال، فإن الشرع قد أنزله الله بعلمه لكل أحمر وأسود، ولكل عربي وأعجمي. وكون النفس البشرية فيها جوانب قصور، هو أمر لا يبرر عدم الانصياع للشرع، ومنه الجهاد في سبيل الله، خاصة وقت تعينه.

مهما يكن من أمر، فلينصح امرؤ نفسه، وليبصر في نفسه، وفي آيات الله في الأرض، فإنّما ذلك للموقنين.

لعل التأمل يدعو الشخص للحق -بإذن الله-.

وإلى نظرة أخرى في السلوك البشري وعلاقة ذلك بالجهاد، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في حواصل الطير

القائد الركن المهيب[1]

خالد الحبيب ـ رحمه الله ـ

من إفادات: سعد الدين الحبيب

الحلقة الأولى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد:

فهذه سيرة أحد قادة القاعدة وأبطالها الذين يعطون القدوة للأجيال المسلمة في أن النفير للجهاد يرفع من شأن الإنسان بين أهل الدنيا مهما كان حظه من العلم والمال، وينتهي به إلى الشهادة في سبيل الله أو الموت الشريف الكريم الذي يغبطه عليه أهل الأرض ويرضى عنه به مَن في السماء!

سيرتنا اليوم مع الشيخ الشهيد –نحسبه كذلك– خالد الحبيب –رحمه الله– الذي هاجر إلى الله وحيداً وقتل في سبيله فريداً!

والشيخ الحبيب مثل الكثيرين من قادة المجاهدين المعاصرين لم يتخرج من الأكاديميات العسكرية ولا ورث الخبرة القتالية من البيئة التي نشأ وترعرع فيها كما يحدث مع سكان القبائل الذين يمتلكون الأسلحة خفيفها وثقيلها، أو الاشتراك في الجيوش والميليشيات الخاصة التي تنتشر في كثير من البلدان الغربية، ولم يكن له كذلك شأن في بداية حياته، ولكن الله الذي خلق الخلق ويعلم ما في نفوسهم، يصطفي منهم من يشاء لتسنُّم قمة المجد وأعلى المراتب فضلاً منه ونعمة.

والمطلع على سيرة الشيخ الحبيب كما سنسرد شيئا منها يتعجب من قدر الله سبحانه وتعالى الذي يتحول فيه ذلك الشاب الخجول المتواضع الفقير في علمه وماله إلى أسدٍ من أسود الله والقائد العسكري العام لتنظيم القاعدة في أفغانستان؟! وبعد أن كان لا يحسن استعمال السكين في المطبخ يصبح معلماً محترفاً في استخدام كافة أنواع الأسلحة والمتفجرات، وإعداد الخطط العسكرية للعمليات النوعية الكبيرة لإيقاع الهزائم بالقوات الصليبية التي يثقل كاهل ضباطها ما يحملونه من أوسمة ونياشين والذين تخرجوا من أعلى الأكاديميات العسكرية، بل والإشراف بنفسه على مسرح المعارك وقت اشتعالها كأفضل ما يكون القادة الميدانيون، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء، وقد سبقه ثلة من القادة العظام الذين كانوا ملء السمع والبصر أمثال أبي عبيدة البنجشيري وأبي حفص القائد وأبي مصعب الزرقاوي وخطاب وأبي الليث الليبي رحمهم الله وغيرهم كثير، ممن يثبتون أن الخيرية في هذه الأمة إلى قيام الساعة، وهم

1- هذه التسمية التي كنا نمزح معه بها ونكتبها على أغلفة رسائلنا المرسلة إليه فيميزها عن كم الرسائل التي يحملها في حقيبته فيسارع لقراءتها فتخفف عنه كثيراً من همومه وآلامه رحمه الله. واسم الحبيب الأصلي شوقي دعبس وهو مصري الجنسية، ومن مواليد عام 1965.

حجة على الذين يتعللون بنقص الإعداد والتدريب وصعوبة طريق الهجرة والجهاد ليستمرئوا حياة الذلة والمسكنة التي يحياها مئات الملايين من المسلمين.

يروي عنه صنو روحه ورفيق دربه في الهجرة والجهاد الأخ سعد الدين الحبيب (أحد المسئولين في القاعدة) فيقول: تعرفت على خالد الحبيب رحمه الله من قبل الجهاد في بلاد الشام عام ١٩٨٧ حيث كنا سوياً هناك وكنت قد سافرت لطلب العلم ولكن ضيق الحال اضطرنا أن نعمل من أجل لقمة العيش فحاولنا التوفيق بين الأمرين.

وكنا قد اجتمعنا أنا وعشرة من الأخوة وسكنًا في غرفة واحدة! وفي يوم من الأيام جاءنا أحد الأخوة وقال لي بصفتي المسئول عن الغرفة: هناك أحد الإخوة المساكين يبحث عن إخوة ملتزمين ليسكن معهم، فوافقته على أن نراه أولاً، فجاء الحبيب وكانت البداية التي رأيناها منه في الأيام الأولى طيبة للغاية: محافظة على الصلاة المفروضة وصوم التطوع والقيام وحضور دروس العلم والمحاضرات في المساجد والنأي عن الأعمال التي تبعد عن ذكر الله وعن الطاعة.

وكان أول ما لفت نظري فيه هو التواضع الشديد والشوق لتعلم الأمور الدينية وخدمة الإخوة بإخلاص مع الابتسامة التي لا تفارقه، بالإضافة إلى أنه كان طباخاً ماهراً يطهو لنا ما لذ وطاب من الطعام! بعدها عملنا سوياً لمدة سنة في عمل خاص حتى لا يتحكم فينا أحد ونستطيع المداومة على طلب العلم الشرعي.

وفي أحد تلك الدروس عرفنا الشيخ على أحد الإخوة الذين جاءوا جديداً من مصر مع جماعة التبليغ، وكان هذا الأخ حافظاً للقرآن الكريم وصوته في التلاوة شبيه بصوت الشيخ المنشاوي رحمه الله، كما كان على قدر طيب من العلم الشرعي فاصطحبناه إلى البيت. وكان قلب هذا الأخ معلقاً بالجهاد ويسعى لذلك وخرج مع جماعة التبليغ لعل الله يمنّ عليه بطريق للوصول إلى ساحات الجهاد، وبدأ يحرِّضنا عليه، ويحضر معنا حلقات حفظ القرآن الكريم وكنًّا قد بدأنا برنامج الحفظ من أول سورة (يس) فقال لنا ابدؤوا بسورتي الأنفال والتوبة، وأصر على ذلك، ثم عرَّفنا على أحد الإخوة الذين لهم باع طويل في الجهاد وكان يحكي دائماً عن أحوال المجاهدين في أفغانستان وكان يأتي لنا بأشرطة الشيخ عبد الله عزام رحمه الله وكتبه، فبدأنا في تغيير المسار من طلب العلم إلى طلب الشهادة.

وبعد الالتقاء بهذا الأخ الذي كان في أرض الجهاد ثم رجع لتحريض الشباب والطلبة في الشام على النفير ومساعدتهم على السفر طلبنا منه أن يضمنا للقافلة فقال: لا توجد لديَّ أدنى مشكلة ولكن عليكم التأشيرة وأنا عليّ التذاكر. فذهبنا إلى السفارة المصرية على أننا مجموعة مسافرة إلى باكستان للتبليغ! وفي السفارة تكلمنا مع المسئول عن قبول طلبات منح التأشيرات الذي طلب منا إجازة من أمير جماعة التبليغ عليها توقيعه، فأسقط في أيدينا، وعدنا ونحن في غاية الحزن والأسف! بعد أن عشنا أياماً نحلم بالجهاد والشهادة في سبيل الله، وكان أشدنا حزناً خالد الحبيب رحمه الله.

بعد فترة اجتمعنا وتشاورنا وقال الأخ التبليغي أنا أعرف أمير الجماعة فدعوني أذهب إليه! فلما قابله كلمه بكل صراحة، وقال له إن هذا الأمر يرضي الله ورسوله فإذا وافقتم فلكم الأجر وإذا رفضتم فأمركم إلى الله! فقال: سوف أعرض الأمر على مجلس شورى الجماعة. فعندها علمنا أن الأمر أصبح

شبه مستحيل! ورغم كل ذلك لم نيأس وبدأنا في الاجتهاد كلٌ بطريقته، ثم توصلنا إلى خطة افتراض أن الحبيب مريض ويحتاج للسفر إلى باكستان للعلاج، وأخذنا ما يثبت ذلك من أحد الأطباء، وأخذ الحبيب الملف الطبي معه وذهب إلى السفارة والحمد لله أعطوه التأشيرة ويسر الله له السفر ليسبقنا إلى أرض الهجرة والجهاد أواخر عام ١٩٨٨، وإن كنت قد لحقته بعد خمسة عشر يوماً فقط إلا أنه أصبح من السابقين بالنسبة لي.

بعد انتهاء الحبيب من التدريب الأولي ذهب إلى الدورة التخصصية ثم إلى الخط، وهناك فتح الله عليه الكثير من العلوم العسكرية وكان من أبرز صفاته الطيبة الزائدة بحيث لا يُغْضِب أحداً، ولا يرفض طلباً لأحد، عالي الهمة، موفور الطاقة، جسور عند اللقاء، صاحب قرارات عسكرية حاسمة وقت الحاجة! وكان دائم الذكر بلسانه وقلبه وكثير الاستغفار، يغضب بسرعة لله عز وجل، ويؤثر العمل في سبيل الله على بيته وأولاده ويقول (إن العمل أهم من كل شيء لأنه لنصرة الدين).

كان الحبيب رحمه الله قد أصيب في زمن الحكومة الشيوعية برئاسة نجيب في أفغانستان إصابات خفيفة، إلا أن إصابته قبل سقوط الإمارة الإسلامية في معركة الدفاع عن مدينة (قندهار) كانت بالغة بعد إصابة الدبابة التي كان يعمل عليها بصاروخ من طائرة مقاتلة مغيرة دمرها، ولكنه نجا بقدر الله، حتى أنه كان لا يستطيع التحرك بنفسه فكان ينقل على نقالة.

بعد ذلك سافر للعلاج في باكستان ومنَّ الله عليه بالشفاء، وقد التقيته بعد سنتين من سفره فكدت لا أصدق عيني عندما رأيته يمشي على قدميه لسوء الحالة التي تركته عليها! وبعد عودته إلى الميدان فتح الله عليه في تعلم جميع أنواع الأسلحة المتاحة الخفيفة والثقيلة وكان مبدعاً في الفك والتركيب والاستعمال وتعليم الإخوة على استخدام كافة الأسلحة من المسدس إلى الدبابة، وقد شهدت له الساحة بذلك!

ورغم شدته في الحق والجهاد فقد كان سريع البكاء لآلام الآخرين وأحزانهم، وكان يحترم الصغار قبل الكبار، ويعطف على الصغار ويحسن إليهم، وكان فكره رائداً بالنسبة للتخطيط العسكري وقد شارك في الكثير من العمليات وشهد له كل من شاركه فيها بالجرأة والثبات. ومن شدة حرصه على عدم الخلط بين المال العام والخاص فقد كان دائماً يدفع من جيبه بالزيادة، ورعاً واحتياطاً، وقد سمي الحبيب لسرعة وقوع محبته في قلب كل إنسان عاشره وتعامل معه! حتى الذين كانوا يخالفونه الرأي والفكر.

وقد تحمل من الأذى والمشقة في العمل ما لا يطاق، وكان لا يكل ولا يمل محتسباً في ذلك الأجر من الله، فكان قدوة لنا في كل أموره رحمه الله.

ولنا في الحديث بقية في العدد القادم إن شاء الله.

الملتقى الجنة .. أبا المجاهدين
وقصيدة في رثاء ابن الشيخ ـ رحمه الله ـ

بقلم: : أبي عبيدة المقدسي

قليلة هي تلك الكلمات التي يمكن للمرء أن يعبر فيها عن خصال الشخوص العظام من هذه الأمة، وخاصة خصال الشهداء الذين بذلوا دماءهم رخيصة في سبيل الله ، ويزداد الأمر صعوبة إن تعلق الحديث بأكابر المجاهدين ذوي الصولة والجولة والبذل والعطاء والتضحية والفداء ومن هؤلاء أستاذ المجاهدين ومعلم الناس الخير وكنف المهاجرين الذي يحلو لي أن أسميه أبا المجاهدين ، إنه علي الفاخري المعروف بابن الشيخ الليبي وبين تلاميذه بعمي الشيخ، أمير معسكر خلدن ورفيق درب القائد الأسير أبي زبيدة الفلسطيني وأحد أعمدة الجهاد الأفغاني في مرحلته الثانية، من الرعيل الأول الذين صاولوا الشيوعية الى أن دحرت وبادت وإلى غير رجعة، أفنى الكثير من سني عمره في إعداد المجاهدين وتدريبهم وتعليمهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة، فقد مَلك إعداد الأجيال المشوقة لنصرة هذا الدين عليه حياته وأشغله عن لذات الدنيا .

ومن فضائله رحمه الله أنه كان يعالج أبناء المنطقة في عيادة المعسكر من غير مقابل مع ما في ذلك من مشقة طلباً لرحمة الله وثوابه وتأليفاً لقلوب أبناء الحي.

وكان رحمه الله بحق أباً للجميع ودوحة سامقة يتفيأ ظلالها كل طالب حاجة قد شط به الزمان، ونأت به الدار، لا تفارق البسمة ثغره، ولا يرد سائلاً، متواضعاً الى أبعد الحدود قلما تجد أحداً بتواضعه، لم أسمع مذمته على لسان أحد من الناس! قد اتفقت عليه القلوب وأحبه الجميع، وهذه خصال قلما يحظى بها أحد .

رزئنا به والأمة في أشد ما تكون حاجة إليه، وهذا ديدن العظماء من هذه الأمة في هذا الزمان فما ينبغ منها نابغة حتى تتلقاه يد الكفر والردة بالقتل، ولا علينا فهذه الأمة أمة ولود ما فتئت تنجب العظماء في كل حين ولله الحمد والمنة:

إذا سيد منا خلا قام سيد .. قؤول لما قال الكرام فعول

ومواقفه العظيمة ما زالت شاخصة في أذهاننا ترفرف حولنا نقتدي بها ونستلهم من حروفها معاني الرجولة والعزة والنخوة والوفاء ...

فمعاً نغوص في بحر ذكرياته الماجدة نلتقط بعضاً من درر فضله ننثرها بين يدي محبيه حباً وكرامةً لهم وبياناً لعظيم فضله وجميل طبعه وعلو كعبه ...

فمن صور جوده وعطائه وإيثاره إخوانه على نفسه أن جاءه في يوم من الأيام مبلغاً من المال من أجل زواجه وقد قارب الأربعين من عمره حينها وكان في أمس ما يكون حاجة إلى الزواج ، فما كان منه وهو يرى حاجة إخوانه في معسكر خلدن إلى المال إلا أن آثرهم بما جاءه من مال ليسدوا حاجتهم وحاجة التدريب في المعسكر ...

أشجاع أنت أشجع من ليثٍ .. غضنفر يذود عن أشبال

أجواد أنت أجود من سيلٍ .. غامرٍ يسيل بين الجبال

أما آثار الخير التي تحل حيث ما حلَّ وإخوانه فالحديث عنها يطول فمن ذلك ما حدثنيه رفيق دربه الأخ المفضال حسن گل أنه بعد أن ترك ابن الشيخ وإخوانه الميامين معسكرهم القديم وارتحلوا إلى موطن آخر ليقيموا فيه معسكرهم الجديد حنَّ ابن الشيخ إلى مرابع معسكره القديم فعاد لزيارته برفقة أبي زبيدة ومحدثي عن هذه الواقعة وبعض الأفاضل، وهناك كانت المفاجئة حيث جاءتهم امرأة عجوز وبدأت بالحديث إلى حسن گل قائلة: (منذ أن رحلتم غاضت عيون الماء في المكان ودبت الأمراض والأسقام ولم تعد تجود السماء بمائها كما كانت ....!)

رحلوا ورحلت معهم البركة، وحلُّوا وحلَّت معهم البركة حيث الحياة تحيا بالجهاد، وهذا الذي ذكرنا مشاهد في كثير من المواطن وقد رأينا ذلك وعايشناه مراراً وتكراراً وهذا لا شك يزيدنا يقيناً بهذا الجهاد المبارك الذي أكرمنا الله به.

أما تجرده لله عز وجل فقد تجلى في أعظم صوره عندما استجاب لأمر الله ورسوله والتزم حبل الله واعتصم به وآثر وحدة الصف واجتماع الكلمة على كل مصلحة سواها، وأغلق معسكر خلدن (خلدن الخير) الذي وضع أساس بنائه الشيخ الفقيه عبد الله عزام رحمه الله، وانضم إلى إخوانه في معسكر الفاروق ليكون معسكراً واحداً يجتمع فيه المهاجرون إلى الله من كل حدب وصوب، وهذا الذي كان منه -رحمه الله- كان رغم معارضة بعض الطيبين لمصلحة كانوا يرونها في حينه، إلا أنه لم يلتفت سوى إلى مصلحة واحدة ألا وهي وحدة صف المجاهدين واجتماع كلمتهم على رجل واحد يقودهم إلى مرضات الله والنصر لهذا الدين.

أما رجولته وشهامته ونخوته فحدِّث عنها ولا حرج! فمن ذلك أنه عندما ابتلاه الله بالوقوع أسيراً هو وإخوانه بأيدي أبناء الردة من الجيش الباكستاني بعد الانحياز من أفغانستان، استطاع بعض الصالحين الوصول إليه قبل تسليمه إلى القوات الأمريكية ورتبوا له الخروج من السجن، ولما أرادوا فكاك أسره وإخراجه أبى الخروج بمفرده وأصر على خروج جميع الإخوة الذين يقدر عددهم آنذاك بما يقرب من مئة وخمسين أخاً وكان هو أميرهم مع ما في تحقق شرطه من صعوبة قد تصل إلى حد المستحيل، وبقي رحمه الله برفقة إخوانه إلى أن سلموه إلى القوات الصليبية، فرحم الله ذاك الوجه الذي علمنا كيف تكون الرجولة، وكيف نطبقها واقعاً حياً في عالم البشر .

تلذ له المروءة وهي تؤذي .. ومَن يعشق يلذ له الغرام

واعلم يا أخا الإسلام أن الحديث عن هؤلاء الكرام وبيان فضلهم وعظيم سجاياهم لهو حديث يطول فنكتفي بهذا القدر من الحديث عن شيخنا ونسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنانه .

فإن غبت عنا فالنجوم غوائب .. وإن زلت عنا فالجبـ ـال زوائل

وما أنت مقتول وذكرك خالد .. بل أنت لمن ظل بعدك قاتل

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نبشر يد الغدر والخيانة والردة والعمالة المتمثلة بأجهزة الاستخبارات الليبية بما يسوؤها ونقول لهم: إن دماء شيخنا لن تذهب دون عقاب رادع وإن يوم الخلاص لأبناء المسلمين في ليبيا قادم لا محال، وإن أيامكم بعون الله باتت معدودة وإن غداً لناظره قريب، وانتظروا إنا معكم منتظرون .

وهذه قصيدة نظمتها في رثاء ابن الشيخ الليبي -رحمه الله- وهي بعنوان: سليل المعالي.

أدمعٌ سجامٌ أم سحائبُ تهمرُ .. أروضٌ جديبٌ أم حوادثُ تهصرُ
سقاني الأسى كأساً وعبٌ متمّماً .. بأخرى تذيبُ القلبَ حرّى تكررُ
يقول صحابي ما لدمعك مُسبلاً .. أتبكي أسيفاً والفراقُ مقدّرُ؟!
أتعذلني والقوم ياويح صبحهم .. على إثره حسرى بدمع مُسَجَّرُ
هو المجد حياً قد سمونا بفعله .. هو العزم والرأيُ السَّديدُ يناصرُ
سليلُ المعالي والفِعالُ نبيلةٌ .. حليمٌ -إذا ساء الجهولُ- موَّقرُ
تزيا بزي الْجودِ حتى كأنّه .. سحائبُ مُزنٍ والعبيرُ معطّرُ
نسائمُ لُطفٍ زانَهُ العقلُ فارتقى .. مقاماً له الأشياخُ ترنو فتَقْصرُ
حسامُ وغىً قد أصقلته هزاهزٌ .. جريءٌ إذا الأبطالُ راعوا وأدبروا
رفيقُ الْقَنا إنْ واجه الموت وانبرى .. يصاولُ مختالاً كليثٍ يزمجِرُ
أخو نَجدةٍ مَنْ ذا يسامي فِعاله .. إذ الصحب في الأغلالِ والسِّجنِ تُقْهَرُ
فيأبى فِكَاكاً والرِّفاقُ بواقياً .. فِعالُ الكرامِ الغُرِّ إذ تتعسَّرُ
سقاه العدا كأساً من القهر مُرَّةً .. فما وهنتْ للخطبِ منهُ الخواطِرُ
سَعَوا ليلهم ثم الصباح فأردفوا .. بمكرٍ له الشُّمُ العوالي تَفَطَّرُ
دعاةُ ضلالٍ أجمعوا أمرهم على .. غوايتِهِ بؤساً جَنَوا فتحيَّروا
فلم يزلِ الفجّارُ والسَّوط راغبٌ .. محاسنه حتى نَعَتْهُ المنابرُ
فنم يابن شيخ هانئ البالِ جاذلاً .. وسِحْ في رياضِ الخلد حولك أنْهُرُ
سيبكيك أشرافٌ سموا وصوارمٌ .. وكلُّ نبيلٍ بالمحامدِ يفخَرُ
سقى الله هاتيك الرُّبى وظلالها .. وروضاً لرَمْسٍ أنت فيه مطهَّرُ
ويافاتح الكفر البئيس وثورة .. بها الخزيُ والعارُ المهينُ يجَرْجِرُ
غداً موعد الآساد تقصد داركم .. فتُعْمِلُ سيفاً في الرِّقابِ وتَقهرُ

رسالة مجاهد شفيق لأخيه القاعد

كتبها: أبو عبيد الله العبسي

الحمد لله رب العالمين والسلام على رسول الله، أما بعد:
فأسأل الله عز وجل أن تصلكم رسالتي هذه وأنتم بخير حال.
فأكتب هذه الرسالة لكم أخي الحبيب، بثاً لبعض ما في الصدر من هموم، ومشاركة لما يجول في الخاطر من الوجدان.

أكتب هذه الرسالة وأزيز محركات الطائرات من فوقي، أكتبها والعدو يتربص بنا، يضرب في منطقة ويهدد الأخرى، أكتبها وعددنا قليل، وعدتنا قليلة.
مهلاً أخي، لا تحسبن العزم قد خار أو المعنويات قد هبطت أو النفس تفكر بالترك، كلا وربي! لسنا ممن يسيئ الظن بربنا، ويعتمد على القوة الظاهرة فقط، -ولله الحمد- بل إنني أكتب لك هذه الرسالة حتى تستفيق وتعلم أن الجهاد بحاجة لكل أفراد الأمة، كلٌّ في موضعه، ولتعرف موضعك وتضع نفسك فيه، أو لم ندرس سوية أن الظلم عند أهل السنة هو وضع الشيء في غير موضعه؟! فلا تظلم نفسك أخي وضعها في موضعها.

أخي الحبيب، نحتاجك هنا لتتدرب على إلقاء الذل ونسيانه ولتحمل السلاح لتقف بوجه أعتى القوى البشرية معلناً إيمانك، ورغبتك بالحياة الحقيقية (ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)[1]، ورغبتك بعدم إلقاء نفسك في التهلكة[2].
نحتاجك لحمل السلاح لعل طلقة ترميها تكون فاصلة في هذه المعركة، لعل قذيفة تطلقها تدك معاقل الطغيان بدلاً من استماعك للأناشيد وتحمسك بلا طائل ولا نفع، بل كأنك تنفخ في قربة مخروقة! هذا إن كان لك فم للنفخ أصلاً في ظل أنظمة ترقب حتى الأفكار والنوايا[3]!!
إن لم ترد حمل السلاح في المعركة أو كنت ضعيفاً لا تستطيع ذلك، فها نحن نستنفرك للعديد من الأعمال عندنا نحتاجك فيها[4].

1- حياة النبات والحيوان والإنسان.
2- من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.
3- السعودية.
4- وهذه أمثلة والحقيقة أكبر وأكثر من هذه الأعمال فقط.

نحتاجك لتحمل معنا أغراضنا من مكان لمكان، حتى نوفر للإخوة المجاهدين جهدهم في الذود عن الحمى وصد العدو الغاشم عن عورات المسلمين وحريمهم.

نحتاجك لنعلمك كيف تحقن الإبرة وكيف تخيط الجرح وكيف تعالج التسمم لتساعد إخوانك وتخفف آلامهم[5].

نحتاجك لنعلمك بعض الأساسيات في التعامل مع عبيد الله من رحمتهم والرفق بهم ودعوتهم[6] ليخوضوا معك الحرب التي تدافع عنهم فيها، فقط لتزيل الصورة الكاذبة التي رسمها الإعلام عنا أمامهم.

نحتاجك لعلك تساعد بعض الأرامل واليتامى هنا فتسعى عليهم فتأخذ أجر الجهاد مرتين.

نحتاجك لعلك بوجودك هنا تنفع إخوانك بتعليمهم التجويد أو القراءة أو الكتابة أو الحساب أو غيرها[7].

نحتاجك هنا لعلك تقرأ كتاباً فتستفيد منه الأمة بدلاً من استفادتك لوحدك منه.

نحتاجك هنا فبنك معلوماتنا وأفكارنا قد تضخم جداً وبحاجة لمن يكشف القناع عنه ليبين جمال خباياه[8].

نحتاجك هنا لتصنع لنا شيئاً يقلل من خسائرنا ويزيد من خسائر العدو[9].

نحتاجك هنا لتفكر لنا، نحتاجك هنا لترشدنا، نحتاجك هنا لتساعدنا، نحتاجك هنا للكثير من الأمور[10]، ولكن أهم ما في الأمر هو حاجتك أنت للجهاد لتنجو من عذاب أليم توعد به الله مَن لم ينفر واثّاقل إلى الأرض عندما استُنْفِر!!

أخي الحبيب، الجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة، ولكن(نا) محتاجون للجهاد لهداية السبيل والتفقه في الدين وللعصمة من الضلال ولإصلاح البال ودخول الجنة، ولنصرة الضعفاء وغير ذلك، وأهم ما في ذلك هو لأن الله أمر به، (قاتلوهم).

والأعمال كثيرة والأعمار قصيرة فالحق بالركب ولا تتأخر أكثر من ذلك، وتب من قريب والوعد من الله بالمغفرة والجنة.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

5- توجد هناك دورات طبية يقيمها أطباء مجازون ومختصون في حقول العمل الطبي..

6- عندنا مختصون في العلوم الإدارية والاجتماعية في هذه اللجان لتستفيد منهم وتكمل المسيرة.

7- مدرسون لكل المواد الشرعية يحتاجون من يساعدهم في تعليم الأطفال الكبار والنساء أيضاً.

8- مراكز الدراسات عندنا تعاني من ضغط معلوماتي بسبب كثرة المعلومات الواردة.

9- الورش العملية عندنا في شغل دائب وبحاجة للطاقات العلمية والعملية.

10- لسنا عاجزين والحمد لله، بل لابد أن تتصور الجهاد في الزمن المعاصر قبل أن تحكم بالعجز على الأمة لتخذلها فكراً بعد الخذلان السلوكي، ولبسطه موضع آخر.

بريق السيف

كتبها الشيخ: منصور الشامي

بريـ قُ السَّـ يْفِ والسـ ـُ. ـمْرِ … دواءٌ للـ فـ تـ ى الحُـ . . رِ

وصـ وتُ المجـ ـدِ حـ ـاديهِ … ولـ ـو بصـ . وارمٍ تفـ . ري

ونفـ سُ العبـ . دِ يشـ ـفيها … سـ . ياطُ الـ ذُّلِ والقـ ـهـ ـرِ

إلهـ ـي نشـ . تكي زمنـ . ـاً … بـ . ـهِ الأغـ ـلالُ كـ ـالتِّـ ـبرِ

تـ ـرى الأجسـ ـادَ يـ ـانعـ ـةً … وعـ ـزمُ القـ ـلبِ فـ ـي القـ ـبرِ

فتـ ـاتُ العيـ . ـشِ يشـ ـغَلُهُم … وهـ . ـم يُزْجـ . ـونَ للنَّحـ ـرِ

ووحـ ـشُ الْخَـ ـوفِ جَرَّعَهُمْ … قَـ ـذىً فـ ـي السَّـ ـرِ والْجَهْـ ـرِ

وخَـ ـطُّوا في شـ . . ـعارِهِمُ … بقِـ ـشْـ ـبَ الْقـ ـيـ ـدِ والأسْـ ـرِ

مـ ـديـ ـدُ العُمْـ ـرِ غـ ـايـ ـتنا … ولـ ـو بالسَّ . ـحْلِ والْجَـ . ـرِّ

ولـ . ـو ذُقْـ . ـتُم معـ . ـانينا … لأزْرَيْتُـ ـم عـ ـلى الشَّـ . . ـعرِ

وصـ ـاغـ ـوا الـ ـذُّلَ ألحـ ـاناً … تحـ ـضـ ـهم عـ ـلى السَّـ ـيرِ

وآتـ . ـونا بـ ـراهـ . . . ـيناً … وقـ ـالوا جـ ـاءَ فـ ـي الذِّكْـ ـرِ

كـ ـذبتم يا عـ . ـبيد المـ ـا … لِ والألـ ـقـ . ـابِ والقـ ـضْـ ـرِ

تعـ ـالى اللهُ أنْ يـ ـرضـ . ـى … بـ ـأنْ ننكـ . ـبَّ للكُفْـ . . . ـرِ

وأنْ تُسـ . ـبى محـ . ـارمنا … وأنْ نُشْـ . ـوَى عـ ـلى الْجَمْـ ـرِ

إذا ما النَّفـ ـسُ قـ ـدهـ ـانتْ … رعـ ـاها الضَّـ ـيـ ـمُ كالحُمْـ ـرِ

فـ ـلا تطـ ـربْ لنَطْـ ـنَطـ ـةٍ … مـ ـن الثعبـ . ـان ذي الشَّـ . ـرِ

فـ ـإن أغـ ـواكَ مَنْطِـ ـقهـ ـم … فقـ . ـدْ مَسُّـ ـوكَ بالسَّـ . ـحْرِ

